آيات مختارة للحوار

تجذبك باستمرار

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

المملكة الاردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/٧/٣٠١٣)

٢١١
ولويل، كامل جميل
آيا مختارة للحوار تجذبك باستمرار/كامل جميل ولويل._ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٦.
(١٣٨) ص
ر.أ: (٢٠١٦/٧/٣٠١٣).
الواصفات: /الثقافة الإسلامية //القرآن الكريم /

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978 – 9957 – 77 -419-6 ردمك



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

آيات مختارة للحوار

تجذبك باستمرار

تأليف الدكتور

كامل جميل الولويل



دار المأمون للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



الفهرس

كتاب آيات كريمة تجذب للحوار

الموضوع وفروعه

المقدمة

وقع هذا الكتاب في اثني عشر موضوعاً، ولقد رتبت الموضوعات بالتسلسل كأنّ كل موضوع باب مستقل بذاته، أي رتب كما رتبت الكتب التي أُلفت في العصر الأموي والعباسي والعثماني وما حولهما لأني أحسست أن هذا الكتاب يقوم على موضوعات مستقلة ذات خصائص متميزة.

ستكون أفكار هذه المقدمة دالةً على اتجاه أفكار الكتاب، وكل فكرة فيها ستثير في القارئ تساؤلاً، وسيجد في خلال الكتاب ما يشفي النفس إن شاء الله. إن معظم أفكار الكتاب تجيب عمّا نتساءل عنه ليكون الدين في القلوب صافياً مصفى داعياً للطمأنينة، ولا بدّ من قراءة ما في الكتاب لتشرح مفصلاً ما جاء في المقدمة بإذن الله تعالى، وإليك موضوعات الكتاب، وإشارة لكل منها:

١- من الأُميّ؟ ومن النبيّ الأميّ؟ هل هو الذي لا يقرأ ولا يكتب؟ كلا! إن الآيات الكريمة وشرحها المعتمد على اللغة والقاموس يجيب على ذلك.

٢- أخطاء في تفسير الآيات تجعل المؤمن قلقاً، وذلك مثل ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾[1] أي قرية ترجع وأيها لا ترجع، ومثل ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[2] يرجح ابن كثير هذا التفسير: الله تعالى خلقكم وخلق أعمالكم؛ أي أن الله تعالى يدفعنا للاستقامة أو العوج! هل هذا صحيح؟ أظنه غير صحيح.

٣- هل يسمح الإسلام بالاسترقاق؟ يقول بعضهم نعم، وأقول لا، وأرد على من قال ذلك بآيات كريمة وأحاديث صحيحة؛ إنها تثبت خطأهم وبعدهم عن الحق، سأثبت بالآيات والأحاديث أن الإسلام لا يسمح بالاسترقاق.

٤- هل غرق العالم كله في عهد نوح (عليه السلام)؟ أكثر الكتب لغير المسلمين تقول نعم؟ وأما كتب المسلمين فانقسمت قسمين تابع وحائر، وأقول لا،

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٥.

(٢) سورة الصافات آية ٩٦.

وسأعتمد على آيات عديدة في إثبات غرق قوم نوح المنذرين فقط؛ وليس غير قوم نوح.

٥- أهل الكتاب يرون أنهم غير معنيين بنزول كتب غير الكتب التي عندهم وغير مأمورين بتغيير دينهم، ما الرأي في ذلك؟ الرد: الإسلام للجميع وهو لجميع البشر، للأميين ولأهل الكتاب، وسأعتمد على الآيات الكريمة التي تثبت أن القرآن لجميع أهل الأرض، وأن أهل الكتاب مأمورون كغيرهم.

٦- البرزخ: نعيمه وعذابه، هل هناك عذاب ونعيم؟ نعم، وسأبين ذلك بآيات وأحاديث؛ منها (آيات عن الشهداء وآيات عن فرعون وغير ذلك).

٧- كلمة (حوله) في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[1] ما حجم الأرض المباركة التي حول بيت المقدس باليقين لا بالظن؟ سأبين ذلك باليقين لا بالظن؛ أي بالقرآن لا بشرح كلمة (حوله) التي يختلف فيها كثير من المفسرين والكُتّاب.

٨- هل هناك نقاط لغوية وآثارها عظيمة وتاريخية؟ نعم. وذلك مثل:

(أ) الذَنْب: مأخوذ من الذَنَب

الزكاة: مأخوذ من زكا، وزكا تعني نما الشجر وطاب الثمر

غَفَر: ستر الأمر، كغطاء الطعام، وسمي رجل الشرطة (الغفير) لأنه يستر الذنوب ولا يفضح الناس.

(ب) الساعة قريب أو الساعة قريبة؟ قال عز وجل: وما يدريك لعلَّ الساعة تكون قريباً (لماذا لم تكن الكلمة قريبة؟)، هذا مثل عن الساعة وهناك أمثلة عديدة، ولكل مقام مقال.

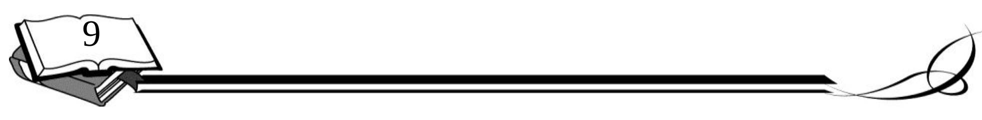
(ج) جاء في الآية: ﴿قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[2]! كيف يقول الرسول (ﷺ) لخالقه وربه: احكم بالحق، والرسول يعلم أن الله هو الحق.

(د) ومثلها ما ورد عن الصفا والمروة، وماورد عن وما منعك أن تسجد أو ما منعك ألا تسجد. مرة بإثبات السجود ومرة بنفي السجود!

٩- المسلمون لا يدخلون النار، مجموعة من البُشريات للمسلمين؛ وهي تفرش البساط لهم كمؤشر على رضا الله عنهم.

(١) سورة الإسراء من آية١.

(٢) سورة الأنبياء من آية ١١٢.



١٠- هل ضاع شيء من القرآن الكريم؟ لا. لم يضع منه حرف واحد. وهناك روايات مضحكة عن آيات نُسيَت.
١١- الحديث الشريف: الحاجة حتمية للحديث، حديث السكة، حديث البصاق، من مات وليس في عنقه بيعه مات ميتة جاهلية، الأنبياء لا تورث، قرض أبي الدحداح.
١٢- سيدنا المسيح (عليه الصلاة والسلام).

ملاحظة: لقد رتبتُ هذه الموضوعات وفقاً للترتيب الذي جرى طوال العهود السابقة منذ العصر الأموي إلى آخر عصر العثمانيين. ليس هنا باب ثم فصول، بل موضوعات متعاقبة لأن لكل موضوع استقلالية خاصة، إنها موضوعات متماثلة، إذًا ما تجده في المقدمة من ترتيب هو نفسه الذي تجده في البحث من ترتيب، فالأرقام هي هي.

ملاحظة عاجلة:

ما أهمية هذه الموضوعات التي بلغت اثنيْ عشر موضوعًا وما قيمة فروعها أو كل فرع منها؟

الجواب: لقد أفاء الله عليّ حتى الآن بعشرين كتابًا، ولكل كتاب أثر بالغ في نفسي، ولكني عندما كنتُ أقرأ الكتاب الذي ألفته من هذه العشرين/وأتمثل به أرى أنّ التداول فيه يَعْتمد على عدد محدود من الناس. ولكن الأمر يختلف في موضوعات هذا الكتاب وفروعه، فإني إذ أكتبه وأستوعبه أجد أنه يقع في دائرة محاورات مستمرة بين أصدقائي وأقاربي ومُجالسي وغير هؤلاء جميعًا فالفروع تتعلق بموضوع يدور على الألسنة، ولكل فرع كيان خاص له أثره في الحوار، إن الفترة التي قضيتها في تأليف هذه الكتب العشرين أو في نشر مقالاتي التي بلغت المئات في الكويت والأردن جعلتني أعلم أن كتابي هذا حول الآيات الكريمة التي تجذبك للحوار هو أكثر ما تتداوله الألسن ولا تعيى بإعادته مرات ومرات. إن كل فرع في أي موضوع سيجلو شيئًا ما في النفس أو عليها؛ أرجو أن تكون النظرة الأولى للمقدمة والفهرس راسخة وقوية لأن قراءة المقدمة والفهرس ستجعل القارئ يتأكد من سلامة هذا المذهب، وهو تداول أفكار الموضوع أو فروعه باستمرار.

أولاً: النبيّ الأمي

يقول المفسرون والمثقفون والدارسون في مجملهم: إن النبي الأمي هو النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وقد التصقت هذه الصفة بخاتم الأنبياء والرسل محمد (ﷺ)، فما أن يقال النبي الأمي حتى تذهب العقول إلى أنه الرسول محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم القرشيّ، وهو من أهل مكة المكرمة، كأن النبي (ﷺ) هو الوحيد من بين الرسل الذي كان محرومًا من القراءة والكتابة! إن هذا الرأي يتناقض مع وظيفة الرسول (ﷺ) فهو صاحب كتاب، والناس تكتب ما يقول وهو يستمع لما يكتبه الناس وهو يرى ما يكتبون، ويهمه أن يكون ما يكتبونه مطابقًا لما ينزل، ولذلك يُصلح كل كلمة تكتب إن تيسر له ذلك، وهو يرسل الكتب للأمراء والملوك والزعماء فلا بد أن يعرف كل شيء كُتب، إن الآيات الخمس الأولى تدل على قراءته وكتابته وسوف أشرح ذلك بعد عرض لقاء الغار.

الرسول في الغار: دعا جبريل الرسول ليقرأ كتابًا معه قراءة من يعرف القراءة والكتابة، فقال مرتين: لا أقرأ أو قال (لست بقارئ)، ولكنه في المرة الثالثة قال

ماذا أقرأ؟ فكشف له الصفحة التي في الديباج فقرأ الرسول: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾﴾(١). لا يجوز أن نفترض بأن جبريل دعا الرسول ليقرأ ما يسمع فقال لست بقارئ، لأن أي عربي يستطيع أن يردد ما يسمع حتى لو كان أعمى، وإنما كل منا لا يستطيع أن يقرأ الصفحة أو الكتاب إذا لم يتعلم الحروف والكلمات، لذلك لا يجوز أن نظن أن جبريل قرأ شفوياً من غير صفحة أو كتاب فقال الرسول لست بقارئ، كان الأمر يتعلق بشيء مكتوب. هنا جاءت القدرة الإلهية لتعلم الرسول (ﷺ) بالإلهام، لقد أُلهم الرسول القراءة والكتابة إلهامًا فقرأ الآيات الخمس الأولى من سورة القلم.

---

(١) سورة العلق الآيات ١-٥.



إن الرسول رحمة للعالمين ولم تختص رسالته بالعرب، والرسول خاتم الرسل في الأرض، ورسالته تمثل رسالات جميع النبيين والرسل، وقد ذكر أن عدد الرسل قد بلغ ١٢٠ ألف رسول، ولم يُذكر عن غيره عدم معرفة القراءة والكتابة.

الآيات الخمس الأولى في القرآن

هذه الخمس الأولى تشير إلى القراءة والكتابة، وهي في نطاق الحوادث المعجزة التي يذكرها القرآن: كالغيث، والرياح، ونمو النبات، ونوم الإنسان وموته، ونشأة الإنسان الضعيفة ثم موته والانتهاء به إلى الضعف.

قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [١] كلنا ندرك أن الخلق من معجزات الله، كيف يأمره بأن يقرأ وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب! إن أمر الله نافذ، لقد قرأ الرسول تلك الصحيفة التي عرضها عليه جبريل (عليه السلام)، ثم أعلمه تعالى أنه بعد أن يقرأ سيستطيع بفضله أن يكتب، وإلا ما فائدة أن يعلم محمد أن الإنسان يكتب بالقلم، إن هذا بيان لفضل الله عليك يا محمد أنك الآن تقرأ وأنك ستكتب ما تقرأ، فهو سبحانه الذي علمك بفضله ويعلم كل إنسان شيئاً من العلم في الحساب والهندسة والطب والزراعة، كل مؤمن يدرك في لحظةٍ ما أنّ الله جل وعلا فتح عليه في أمر كان يفكر فيه أو يقلقه.

ملاحظة: لقد سررت إذ وجدت المفسرَين الشوكاني والأشقر في كتابهما زبدة التفسير يقولان (الآيات الخمس الأولى تشير إلى تعليم الله إياه وهذا إشارة إلى أنه يمكّنك من القراءة وأنت أميّ).

ماذا قال أهل مكة في قراءته وكتابته؟

قالوا لقد سمعنا ما تقول، لقد كتبتها عن السابقين الذين كانوا يسجلون الأساطير، إنك تمضي وقتك كله في كتابة هذه الأساطير.

---

(١) سورة العلق الآيات ١-٥.

قال ﷻ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾[1].

اتهموه بكتابتها، بل اتهموه ببذل جهود في كتابتها، إن كلمة اكتتب أصلها (كتب) ثم زيد عليها حرفان هما الألف والتاء، وهي مثل عبر واعتبر، أو مثل بَعُد وابتعد، فكلمة كتب تعني الكتابة العادية وأما اكتتب فتعني بذل جهد أكثر في الكتابة، وذكرت كتب تفسير القرآن هذا المعنى لكلمة اكتتب وهو (كتبها لنفسه)؛ أي يكتب ما سمع وما قرأ.

فالمشركون في مكة لم يتهموه بأنه لا يقرأ ولا يكتب، بل اتهموه بالكذب، يقولون له أنت تكذب علينا فيما نسمعك، تزعم أنه من عندالله ولكنه من عندك.

وقال ﷻ يصف اتهامهم أيضًا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥﴾[2].

انظر إلى كلمة (درست)، ماذا تعني في اللغة العربية، إنها تستعمل في دَرْسِ القمح أي البُر، فتزيل الآلات العصف لتصل إلى حبة القمح، وقد استعملت الكلمة في القراءة لتعني التعمق في القراءة، قال أهل مكة له درست هذا الأمر دراسة، إنهم لم يتهموه بعدم الدراسة بل اتهموه بالدراسة ثم بالكذب فيها.

في مختصر صحيح البخاري، صفحة ٢٦٤- قال البراء بن عازب يصف ما فعل الرسول (ﷺ) يوم الحديبية: (فأخذ رسول الله الكتاب فكتب: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله» إن هذا شاهد عيان لما فعله الرسول أي الكتابة.

كيف نفهم كلمة الأمي؟

هذه الكلمة من أحسن الكلمات التي يوصف بها رسول الله (ﷺ) وقد عرفنا ذلك من وضعها في آيات تنم عن حب الله له ووصفه بأجمل صفات الأنبياء

---

(١) سورة الفرقان آية ٥.
(٢) سورة الأنعام آية ١٠٥.

وإسباغ ألطف النعوت عليه، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(١) هذه صفات الأمي.

وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾(٢) هذه صفاته فالأمي هو المؤمن المتبع لأمر الله، وليس هناك علاقة بين الأمي ومن يجهل القراءة والكتابة، إنه داع للناس جميعًا، إنه مؤمن متبع لأمر الله، إنه آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر، إنه يأمرهم بكل أمر طيب وينهاهم بل يحرم عليهم كل أمر خبيث، وهو الذي إن اتبعوه أنقذهم من بلوياتهم القديمة، ويبشر المؤمنين بالله وبه أنهم قد نجحوا.

لماذا ذكرت كل هذه الصفات؟ لأن كلمة أمي في لغتنا العربي جاءت من كلمة (أمّ)، ولهذه الكلمات معانٍ حميدة، والنسبة إلى كلمة (أم) هي أمي، ولا تُذكر الأم إلا ذكر العطف والحنان والصدق والإخلاص والعلاقة الحميدة والعرب تسمى كل من تجتمع فيه خصال الخير (أم) يقولون: أمّ الطريق أي أعظم الطريق ويقولون: أم النجوم هي المجرة، وأم القرى هي مكة، وأم الدماغ أصل الفكر، والعرب تقول إن الأمي هو الشيء الرئيسي الذي تُضم إليه سائر الأشياء، والعرب تسمي الذي يقل كلامه ويكثر عمله (الأمي)، وتقول القواميس

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧.
(٢) سورة الأعراف آية ١٥٨.

أن كلمة (أَمَّ) معناها قصد، وكلمة «﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[1] أي اقصدوا إليه» والأمة عند العرب: الشرع والدين، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[2].

إن الناس الذين كانوا يأتون ليسلموا كانوا يسألون بما يلي:

أ- أين محمد بن عبدالله؟

ب- أين ابن عبد المطلب.

ج- أين الذي يزعم أنه رسول الله. فيقولون: آلله أرسلك؟ فيقول نعم، ثم يسألونه عن أوامر الله، فيصدقونه، أو يسألونه «يا رسول الله أي الإسلام خير؟» أو يسألونه «يا رسول الله أي الذنب أعظم؟»، أو يسأل أحدهم فيقول يا رسول الله أنؤاخذ بما فعلناه في الجاهلية؟ ولما سألت خديجة ابن عمها ورقة بن نوفل عما رأى زوجها في الغار قال له: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره الرسول بما رأى».

كلهم سألوا عن نسبه ومكانه ورسالته وأوامر الله ونواهيه وعن الجنة والنار، لم يسأل أحد عن قراءته وكتابته، لم يقل أحدهم أين الرسول الذي لا يقرأ ولا يكتب، ولو كانت هذه الصفة تميزه عن سائر النبيين والرسل لسألوا عنها، وما من منطقة في جزيرة العرب ولا من قبيلة من القبائل العربية إلا أرسلت تسأل عنه، أي عن شخصه أو جده أو قبيلته أو إيمانه أو دعوته، ولم يأت ذكر أحد في كتب السيرة سأل عن قراءته وكتابته.

إذًا، آن لنا أن نعرف ماذا تعني كلمة النبيّ الأمي، إنه الرسول الكريم الذي اجتمعت فيه خصال الخير كما تجتمع خصال الخير في الأم تجاه ولدها، ونقول هو الذي اجتمعت فيه مبادئ الرسل السابقين العظيمة التي يرضاها الله جل وعلا، ونقول هو الذي انتهت عنده الصفات الحميدة لكل دين سابق، ونقول إنه من أم القرى، وقد ذكر المفسرون معاني مقاربة لما ذكرنا، فقالوا هو معلم الخير والجامع لخصال الخير، ومرجع الناس في المعرفة والإيمان بالله جل وعلا، هذا هو النبيّ الأميّ.

---

(١) سورة النساء من آية ٤٣.

(٢) سورة الزخرف من آية ٢٣.

مَنْ هم الأميون؟

نذكر الآن الآيات الأربع التي ذُكرت في كتاب الله

أ- في سورة البقرة آية ٧٨: قال ﷻ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾[1].

ب- في سورة آل عمران آية ٢٠: قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾[2].

ج- في سورة آل عمران ٧٥: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[3].

د- في سورة الجمعة ٢: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[4].

انظر إلى الآية الرابعة (د) وهي في سورة الجمعة آية ٢. لماذا جاء الرسول؟ جاء ليعلمهم القرآن والسنة ويطهرهم من الدنس، كل هذه الأمور هي هدف الرسول (ﷺ)، لم يتدخل في قراءتهم وكتابتهم، ولكن لم يأتهم كتاب من قبل فكانوا أميين أي جهلاء في الإيمان وغارقون في الرجس.

وانظر إلى الآية (ب) وهي من آل عمران، فقد كان الأمر يتعلق بالدين

---

(١) سورة البقرة آية ٧٨.
(٢) سورة آل عمران آية ٢٠.
(٣) سورة آل عمران من آية ٧٥.
(٤) سورة الجمعة آية ٢.

والإيمان، فمن نزل عليهم كتاب قبل خاتم النبيين فهم أهل الكتاب، ومن لم ينزل عليه كتاب فهم الأميون، ولا حاجة لذكر من كان يقرأ ويكتب، فإن أكثر الأمم كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون، لكن منهم ضال إذا لم يتبع كتاب الله، ومنهم مهتد إذا اتبع كتاب الله، وسمي الذين لم ينزل عليهم كتاب أميون، حتى لو نزل وأهملوه فهم أميون.

وانظر إلى الآية (جـ) وهي من سورة آل عمران (٧٥)، زعم اليهود أن العرب ليس لهم سيطرة عليهم لأنهم أرقى منهم بنزول الكتاب عليهم، وأما في القراءة والكتابة فكان الأمر سواء، فليس لديهم في يثرب جامعات ولا معاهد ولا مدارس، وأمر الكتابة والقراءة ثانوي، المهم من لديه كتاب ويعمل به ومن ليس لديه كتاب أو من أهمل الكتاب الذي أُنزل فهو أميّ.

وأخيراً نقرأ الآية (٣) وهي من سورة آل عمران ورقم الآية ٧٨، وفيها يخاطب سبحانه وتعالى اليهود في المدينة المنورة، ويصفهم من ناحية التوراة وصفًا مطابقًا لما هم فيه، قال ﷻ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ وشرح هذه العبارة بقوله ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، وهو وصف حق لهم، لأن علمهم أماني في صدورهم، وليس أكثر من أماني أو تمنيات أو ظنون أو ادعاءات، ولو كان الأمر يتعلق بالقراءة والكتابة لما كانت معرفتهم بالقراءة والكتابة ظنونًا أو ادعاءات أو أماني لأنهم يمارسون القراءة والكتابة عمليًا، الأمر هنا لا يتعلق بالقراءة والكتابة بل يتعلق بعلمهم في الدين أو في التوراة يظنون أنهم يعلمون التوراة ولكنهم في واد والتوراة في وادٍ آخر إن كلمة الأمي الواردة في المصحف ليس لها علاقة بالقراءة والكتابة، إنما هي كلمة لها علاقة بالإيمان والكتب السماوية فحسب.

ثانياً: آيات أربكونا وخربشونا في فهمها

[وقفات مع المفسرين]

سأضرب أمثلة متعددة وقع فيها علماء نجلهم ونقدرهم، ولكنهم بشر ممن خلق ويقع منهم أخطاء في بعض الأحيان وعلينا إذا أدركنا موقع الخطأ أن ننبه إليه لئلا نشرح الآية على غير وجهها؛ وسأذكر كتب المفسرين التي أذكر فيها الأخطاء.

وأتعجل فأذكر هذه الآية التي صدف وأن ذكرت في أكثر من مصدر لنعلم أن لفت النظر إليها حق على من يدرك الخطأ حتى يظل نقل معاني الآية للناس المسلم وغير المسلم جيدًا وصافيًا.

الآية: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾[١].

يقولون فيها: أكاد أخفيها أي أكاد أخفيها من نفسي، أي إن الله بالغ في إخفاء الساعة! فلنستغفر الله على أي خطأ. قال الشوكاني والأشقر في زبدة التفسير كما قال الشيخ حسنين محمد مخلوف (أكاد أخفيها من نفسي أي إن الله بالغ في إخفاء الساعة فذكره بأبلغ ما تعرف العرب).

وأعقب على أن الله تعالى يخفيها عن نفسه، هل هذا يتناسب مع مقام الألوهية؟ ثم إن كلمتهما (إن الله بالغ في إخفاء الساعة) لا تليق بمقام إنسان عادي فكيف يصفان كلام الله تعالى بأنه مبالغة؟

كيف يخفيها عن نفسه وهو (الذي لا يخفى عليه شيء، وهو علام الغيوب) قال ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾[٢]، ولكنه تعالى أخفاها عن عباده أولم يخفها تمامًا بل قارب أن يخفيها، حتى يكون الإنسان حُرًّا في تقديره وتفكيره فيعمل في هذه الدنيا بإرادته وليس تحت تهديد القيامة إذا كشف له شيء منها.

وكيف يقولون: بالغ في إخفاء الساعة! إن الإنسان هو الذي يبالغ ويزيد على الأشياء من عنده، ولكن الله تعالى هو الحق ولا يقول إلا حقًا، ولذلك لا

---

(١) سورة طه آية ١٥.
(٢) سورة الزخرف من آية ٨٥.



نستعمل كلمة بالغ أو ما اشتق منها لوصف علم الله أو عمله أو توجيهه أو غير ذلك.

ملاحظة: إني لا أُنتقص من جهد العلماء، فالعالم الذي يتذرع لتفسير القرآن كله أي لتفسير أكثر من ستة آلاف آية، لابد أن يصيبه التعب أو شرود الذهب أو الاشتباه أو التعجل وعلى كل مسلم أن يصلح إن استطاع.

وقفات مع ابن كثير

أ- هل الله خلقنا وخلق أعمالنا؟

أما الآية فهي قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1].

قال ابن كثير: (يحتمل أن تكون ما مصدرية فيكون المعنى عندئذٍ: أي خلقكم الله وخلق عملكم. ويحتمل أن تكون ما بمعنى الذي، أي خلقكم الله وخلق الذي تعملونه، والأول أظهر)، إنه يرجح أن الله خلق أعمالنا كما خلقنا!

لا ليس كذلك، فإن (ما) لا تأتي مصدرية لأن المصدرية تدل على الزمن مثل، الله ناصركم ما بقيتم على الحق، لقد نسي ابن كثير ارتباط ما بالزمن لتكون مصدرية، والصواب في شرح هذه العبارة القرآنية هو (والله خلقكم وخلق الذي تنحتونه)، خلقكم وخلق هذه الصخور. إن تفسير ابن كثير أن الله خلقنا وخلق أعمالنا يخالف الثواب الذي يعطيه رب العالمين لمن يقومون بالعمل الصالح متطوعين، ويخالف مبدأ العقاب الذي يفرضه تعالى على الذين يعملون السوء بإرادتهم وباختيارهم، إن الله تعالى خلقنا ولكن لم يخلق أعمالنا، فلا إجبار لنا على أعمالنا، ولو أجبرنا لما حاسبنا، ولكن الله تعالى يرانا نعمل ما نشاء ويأذن للأعمال بالنفاذ، وربما لا يأذن لبعض أعمالنا بالنفاذ.

ب- هل هذه آية لعذاب القبر وهي: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾[2].

قال ابن كثير: (تعني الآية أن الغرض من العذاب الأدنى أن يُحس الإنسان بخطئه فيستغفر ويعود إلى الصواب فيخاف الله ويتقيه).

واستشهد ابن كثير بشرح مجاهد الذي قال: (العذاب الأدنى يُعنى به عذاب القبر)! فهل يستطيع الإنسان بعد أن يحس بعذاب القبر أن يرجع إلى وجه

(١) سورة الصافات ٩٥-٩٦.
(٢) سورة السجدة آية ٢١.

الأرض فيستغفر ويتوب ويصلي ويزكي ويصوم ويتعبد. لا. ليس كذلك، لا علاقة لها بالقبر، إنّ الآية تتعلق بحياة الإنسان قبل موته، فيذيقه الله تعالى العذاب ليتوب.

ج- **قال تعالى:** ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٩﴾[١]. ما هذا البحران؟ قال ابن كثير: يقول الطبري إنّ هذين البحرين هما بحر السماء وبحر الأرض لأن اللؤلؤ من ماء السماء، ومن أصداف بحر الأرض!

أما الآية بتمامها فهي قوله ﷻ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ٢٠﴾[٢].

ليس للآية علاقة بماء السماء أي بالمطر، وإنما العلاقة هنا هي بين النهر والبحر، إن النهر يجري مسافة طويلة قبل أن يلتقي بالبحر لأن اليابسة تفصل بين النهر والبحر، ثم يلتقيان بعد هذه المسافة البعيدة كما يلتقي نهر النيل بالبحر الأبيض المتوسط، أو كما يلتقي نهر الدانوب بالبحر الأسود.

د- أم إبراهيم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٢﴾[٣].

لقد نزلت الآيات الكريمة من سورة التحريم بسبب إصابة رسول الله لأم إبراهيم في بيت بعض نسائه كما يذكر ابن كثير، فقالت له صاحبة البيت (في بيتي وعلى فراشي) فحرمها الرسول (ﷺ) على نفسه، فقالت زوجه (كيف يحرم عليك الحلال؟) فحلف بالله لا يصيبها.

هل زوج الرسول تعرف الحلال والحرام فتذكره به؟ أليس الرسول معلمًا للأمم وكأنه هنا لا يعلم الحلال والحرام وتعلمه زوجه، إن المرأة أم المؤمنين

---

(١) سورة الرحمن آية ١٩.
(٢) سورة الرحمن آيات ١٩-٢٠.
(٣) سورة التحريم آية ١-٢.

اعترضت وقالت: في بيتي وعلى فراشي! وهذا تقوله أي امرأة. ولكن أن تعرفه بالحلال والحرام فلا، لذلك حرّم على نفسه ما أحل الله ليرضيها، أو ليرضيها ويرضي من تعاون معها، فلامه سبحانه لومًا رقيقًا! لأنه حرّم ما أحلّ الله.

هـ- ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾﴾.

قال ﷻ في سورة الرحمن: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾﴾[1].

قال ابن كثير وهو يذكر مناسبة الآية أو سبب نزولها، قال: (هذا في مقام الحشر، أي لا ينفذ الناس من ذلك اليوم إلا بقوة الله)!

لا. ليس للآية علاقة بيوم القيامة، فإن ذلك اليوم الرهيب يجعل كل إنسان لا يفكر إلا في نفسه، ويشعر كل إنسان وكل جانّ أنه ضعيف جدًا، يكون كالسكران وما هو بسكران، وإذا رأى أخاه فر من أخيه بل يفر من زوجه وبنيه، هناك لا يفكر أحد بالنفاذ عبر السماوات والأرض، ومن أين يأتيه هذا الظن وهو يرى السماء تتشقق ويرى الشمس تنطفئ ويرى جهنم تشيب الطفل؟ إن هذه الآية من آيات التحدي في الدنيا وهي تُذكّر الإنسان بقوة الله، وتقول له إنك تزعم لنفسك القوة ولكنك محصور في هذا المقام بين السماء والأرض ولن تستطيع النفاذ، فاتق الله واعتبر.

---

(١) سورة الرحمن آية ٣٣.



وقفات مع الشيخ حسنين مخلوف

مفتي الديار المصرية السابق

أ- القرية الهالكة.

قال ﷻ: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٩٥﴾[(١)].

ماذا قال الشيخ حسنين فيها؟ قال: (إنه ممتنع على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون في الآخرة للجزاء)! الكلام غامض جدًا، ولكني أفهم من هذه العبارة أنه يعني أن أي قرية هالكة سترجع للجزاء في اليوم الآخر، ولكن أقول لشيخنا إن جميع القرى الناجية أو الهالكة، وجميع البشر الناجية أو الهالكة سيرجعون إلى الله؛ فالآية ليست عن الآخرة إذًا ما هذه الرجعة؟ وكيف ستكون؟ **الإجابة هي:**

إن جميع القرى التي أهلكها الله، كان إهلاكها لأسباب منهم، أي هم الذين ظلموا أنفسهم، فقد أُمِروا بالإيمان والعودة إلى الله ولكنهم لم يرجعوا وأعرضوا عن أوامر الله، فحق عليهم الهلاك، وأهلكهم الله تعالى، وهو مبدأ عام يتعلق بكل من لم يرجع عن الضلالة.

إذًا هذه الآية تتعلق بشؤون الحياة الدنيا، وهي تقع قبل القيامة وقبل الحساب.

ب- الأميون من اليهود.

قال سبحانه في سورة البقرة آية ٧٨: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾[(٢)] ماذا قال الشيخ حسنين في هذه الآية؟

قال: [الأميون نسبة إلى الأم، لقد نسب من لا يقرأ ولا يكتب إلى الأم لأن الكتابة كانت في الرجال دون النساء فنسب من لا يكتب إلى أمه بسبب جهله.]!

وأقول: ليس الأمر كذلك، فإن كلمة الأميين أينما وردت في كتاب الله تتعلق بالقوم الذين لم يأتهم كتاب من الله، أو جاءهم كتاب فأعرضوا عنه، وكأنه

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٥.

(٢) سورة البقرة آية ٧٨.

لم يأتهم، وفي هذه الآية إشارة إلى أن طائفة من اليهود لم يهتموا بأحكام التوراة ويعلنون على الناس أشياء تدل على جهلهم بكتاب الله وهم يظنون أنهم على جانب من العلم، إن هذه الادعاءات أماني وظنون وهي بعيدة عن الحق.

جـ- دعاء من الله لنوح!

في قوله ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾[1] قال الشيخ حسنين مخلوف:

(قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾، دعاء منه تعالى لنوحٍ (عليه السلام) بالسلامة من أن يذكر بسوء في الملائكة والثقلين جميعًا)!.

لا ليس كذلك، لا يجوز أن تأتي كلمة (دعاء) في هذا الشرح لأن الله تعالى يأمر وينهى ويعطي ويمنع، أما الإنسان فهو الذي يدعو، إن الله تعالى منح تفضلاً منه وتكرمًا لنوح السلام والذكر الحسن في العالمين جميعًا؛ لقد أعطاه من الناس الثناء الحسن، أي ألهم العالمين بقولهم (نوح عليه السلام).

د- مَنْ القرين؟ المَلَك أو الشيطان؟

في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾[2].

قال الشيخ: قال شيطانه هذا ما لديّ أي هذا الكافر الذي هو عندي مهيأ لجهنم بإغوائي وإضلالي؛ يرى الشيخ أن القرين في هذه الآية هو الشيطان. لا، ليس الأمر كذلك، فالشيطان يغوي كثيرًا من البشر، ولكنه يتنصل مما فعل يوم القيامة ويلقي باللوم على الناس أنفسهم، يقول لمن أغواهم: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾[3]. إذًا هذا ليس من قول الشيطان، هذا قول الملك الذي وكّله تعالى بالإنسان، يقول الملك هذا ما عندي من كتاب عمله، وكتابه حاضر بين يدي وقد أحضرته وأحضرت الذي وكلتني

---

(١) سورة الصافات آية ٧٩.
(٢) سورة ق آية ٢٣.
(٣) سورة إبراهيم من آية ٢٢.

به، فيقول عز وجل للسائق والشهيد ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤﴾[(١)].

هـ- تركناها آية، ما هذه الآية؟

في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥﴾[(٢)].

يقول الشيخ حسنين مخلوف: (أبقينا هذه الفعلة آية أي عظة وعبرة).

الإشارة هنا ليست إلى العمل أو الفعلة، الإشارة للسفينة، والآيتان السابقتان تدلان على أن الكلام عن السفينة وليس عن الفعلة أو العملة التي عملها قوم نوح فعذبوا بسببها، قال سبحانه: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥﴾[(٣)]. فالسفينة هي التي تجري وهي التي تركت.

فالسفينة هي ذات الألواح والمسامير الكبيرة. والسفينة هي التي تجري بعناية الله وأمره، ثم جاءت كلمة (وتركناها)، فالهاء تعود إلى السفينة وليس هناك كلمة غيرها تناسب هذا الضمير (ها)؛ لماذا تركت السفينة في أقاصي جبل الجوديّ، تركت لتكون عبرة وعظة للأمم الآتية، إذ المنطق أن تكون السفينة في شاطئ البحر أو النهر وليس في أعالي جبل الجودي، ولكنها المعجزات التي تتجاوز العقول والقدرات والخوارق.

و- متى انشق القمر؟

في قوله ﷻ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾[(٤)].

---

(١) سورة ق آية ٢٤.
(٢) سورة القمر آية ١٥.
(٣) سورة القمر الآيتان ١٣-١٥.
(٤) سورة القمر الآيتان ١-٢.

قال الشيخ حسنين رأيين، أوافقه على رأيه الأول وهو أن وقت الساعة أصبح قريبًا. ولكني أخالفه في الرأي الثاني، وهو: (قيل اقتربت الساعة، فإذا جاءت الساعة انشق القمر بعد النفخة الثانية)!

لا ليس كذلك، إن الذي يحدث من مظاهر القيامة كثير وقد ورد هذا الكثير في عدة سور من السور القصار مثل: الزلزلة والانشقاق والانفطار ولم يرد فيها (انشقاق القمر)، ثم إن المفسرين تناولوا العبارة القرآنية اقتربت الساعة، فقالوا: ما بقي للساعة بالنسبة لما فات من الزمان إلا القليل، وأما ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ فقال مفسرون كثيرون: إن الانشقاق كان في عهد رسول الله (ﷺ)، وقد ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، وقد أخرج البخاري ومسلم أنهم طلبوا من الرسول إظهار معجزة لهم، فأراهم تعالى القمر شقين، هل آمنوا لما رأوا المعجزة؟ قال تعالى ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾[1]، لا يوجد في يوم القيامة شيء اسمه إعراض، يعترف هناك جميع الخلق بأنهم أمام الوعد الحق.

ز- **قوله** ﷻ: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١١٢﴾[2].

قال الشيخ حسنين مخلوف: هل ينزل علينا إن سألته أن ينزلها وهو كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تقوم وهو يعلم أنه يستطيع، وقد طلبوا إنزالها لاعتقادهم قدرته تعالى على ذلك. فهم مؤمنون.

لا ليس كذلك. إن المؤمنين أحيانًا يخطئون، وسؤالهم يدل على الشك في القدرة الإلهية، ولذلك قال لهم المسيح (عليه السلام): ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ

---

(١) سورة القمر آية٢.
(٢) سورة المائدة آية ١١٢.

ﭐلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾[1].

يقول المسيح (عليه السلام): اتقوا الله ودعوكم من هذا السؤال وأمثال هذا السؤال إن كنتم مؤمنين حقًا، فردوا عليه: نريد أن نأكل منه وتطمئن قلوبنا بالإيمان بالله وبرسوله عيسى (عليه السلام)، ونشهد بأنك قد صدقتنا في نبوتك.

ولما دعا عيسى (عليه السلام) ربه بأن ينزل المائدة استجاب له تعالى وقال منذرًا الحواريين: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾[2].

واضح أنه موقف ضعف، ولكن الله تعالى يحفظ عباده الصالحين وإن أخطؤوا ويعطيهم الفرصة ليبقوا صالحين. فأعطاهم ما سألوا فكانوا كذلك ولم يذكر سبحانه أي شيء عن كفر أو غير كفر.

---

(١) سورة المائدة آية ١١٢- ١١٣.
(٢) سورة المائدة من آية ١١٥.

في زبدة التفسير آيات فسرت على غير وجهها

ح- محمد سليمان عبدالله الأشقر والشوكاني

إنهما عالمان من أعلام التفسير، وقد أخذت عنهما شيئًا كثيرًا، ولكني توقفت عند عدة نقاط من تفسيرهما في كتاب (زبدة التفسير من فتح القدير)، ووجدت أن هناك أخطاء أو زلات سببها أن كل إنسان ينسى أو يسهو أو يخطئ.

١. **هل إخوة يوسف أنبياء؟**

في قوله ﷻ: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠﴾[1]، تفيد الآية عندهما أن الأسباط إخوة يوسف لم يكونوا من الأنبياء والرسل: وكيف ذلك؟

قال الشيخان الأشقر والشوكاني: يلتقطه بعض المسافرين إن كنتم عاملين بما أشرتُ به عليكم في أمره، وهذا دليل على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء!

لا. لا. ليس كذلك. لقد اشتهر إخوة يوسف وهم أحد عشر رجلاً بأنهم مع يوسف (عليه السلام) كانوا اثني عشر سبطًا. وقد وردت هذه العبارة خمس مرات في القرآن الكريم، أي عبارة الاثني عشر سبطًا، وذكروا باسم إخوة يوسف وهم شباب كارهون ليوسف ولم يكونوا عندئذٍ من الأنبياء، ولكنهم صاروا أنبياء فيما بعد واستغفروا واستغفر لهم أبوهم وعفا عنهم أخوهم يوسف، وهذه الآيات تثبت أنهم أنبياء.

أ. في سورة البقرة ١٣٦: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾[2] ذكروا مع

---

(١) سورة يوسف آية ١٠.
(٢) سورة البقرة آية ١٣٦.

النبيين وأن الله تعالى أنزل عليهم.

ب. في سورة البقرة أيضًا ١٤٠قوله ﷻ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾[1] كلتا الآيتين تشهد بأن الأسباط كانوا مسلمين وأنبياء.

ت. وجاء في سورة آل عمران ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾[2].

ث. وجاء في سورة النساء ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾[3].

٢. منْ الشاهد من أهلها؟

يقول الشيخان: (قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[4] هو الطفل الذي تكلم في المهد، وهو الصحيح للحديث الوارد عن النبي (ﷺ) في ذكر من تكلم في المهد).

لا. ليس كذلك. فلقد استشار العزيز أهل زوجه، ويبدو من أسلوب الآية أن أحدهم كان صاحب الرأي الصائب، كان رأيه ينمّ عن فكر وتقدير وليس عن معجزة، فقد اجتهد كما نجتهد في معرفة الحقيقة، قال الشاهد من أهلها إن كان قميصه قُد من قُبُل فهذا يعني أنه مقبل عليها فهو الخاطئ، وإن كان من دبر فهي التي تلاحقه فهي المخطئة لا يجوز أن نفترض هذه الاحتمالات في

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٠.
(٢) سورة آل عمران آية ٨٤.
(٣) سورة النساء آية ١٦٣.
(٤) سورة يوسف من آية ٢٦.

المعجزات، فالمعجزة قول فصل وليس احتمالات. فلو كان الشاهد طفلاً وأنطقه الله تعالى لقال: «هي المخطئة ويكون قوله الفصل، ولكن عزيز مصر نظر وعرف الحقيقة ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[١].

إن الشاهد ليس صاحب معجزة بل هو قائل من أهلها؛ فكّر واجتهد ثم أدى الحل.

٣. هل باعه إخوته؟

قال الشيخان في قوله ﷻ: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾[٢] لقد قيل إن إخوته باعوه بثمن ناقص عن ثمن الرقيق العاديين! إن إخوته اتفقوا أن يقذفوه في البئر لعله يلتقطه بعض المسافرين، وكان الذي اقترح ذلك متأكدًا من مرور المسافرين ثم من حاجتهم للماء فلذلك سيلتقطونه. وجاءت العبارة كشرط وجواب ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾[٣] فألقوه وتولوا. وطمأنه تعالى في هذه اللحظة وأعلمه عن مستقبله. فأين الكلمة التي تدل على أن إخوته باعوه!؟

ملاحظة: إن ذكر عدة تفسيرات لكل آية ليس من ضرورات التفسير، فإن التفسير يحتاج إلى توضيح ودقة وليس لكثرة المعلومات ولاسيما المتناقضة منها: إن عبارة (وقيل) أحياناً تضعف المعاني وتشوش الفهم، وأتمنى أن نركن للرأي الراجح بدل تعدد الآراء.

٤. قراءة الشيطان في كتاب الله!

---

(١) سورة يوسف آية ٢٨.
(٢) سورة يوسف آية ٢٠.
(٣) سورة يوسف من آية ١٠.



قال ﷻ في سورة الحج آية ٥٢: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾[1].

يقول الشيخان في تعريف الرسول والنبي:

الرسول هو الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عيانًا ومحاورته شفاهًا، وأما النبي: فهو الذي يكون الوحي إليه إلهامًا أو منامًا! لا. لم تحمل الآيات هذا المعنى.

ويقولان في تفسير: إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته: أي إذا قرأ الرسول ألقى الشيطان في قراءته، وهذا يعني أن المشركين يسمعون كلام الشيطان وكأنه كلام الرسول ولو أن الرسول لم يتكلم به!

تعريف الرسول والنبي بهذه الصورة لم يأت به القرآن، وهذه الآية أي الآية ٥٢ من سورة الحج تساوي بين الاثنين، فالنبي رسول والرسول نبيّ، فالرسول مرسل والنبي مرسل كما في هذه الآية. وقد بيّن الرسول محمد (ﷺ) أن جبريل كان يأتيه بالإلهام حينًا وبصورة رجل حينًا آخر. وكلمة أنزل ونزل وردت لتصف نزول الكتب السماوية على الرسل، كما وردت كلمة أوحينا إلى الرسل أنفسهم، لا يوجد تفريق شرعي دقيق بينهما.

وأما أن يتلو الرسول (ﷺ) عبارات قرآنية ويتلو في نفس الوقت الشيطان عبارات شيطانية ويدسها في تلاوة الرسول (ﷺ) فهذا لم يحدث أبدًا وإنما الذي يحدث أن الرسول (يتمنى) أشياء لأمته، وكذلك المؤمنون، ويتمنى المشركون أشياء سيئة لأمة محمد، وزَيّن الشيطان للرسول أشياء وأمنيات في نفسه لا في العلن، ويتهلى بها الرسول لحظات أو المؤمنون فيأتي أمر الله بإلغاء هذه التمنيات، ويقرأ الرسول الحق وينطق بالحق وكذلك المؤمنون، وأما التزيين للمشركين فيزيدهم بؤسًا وفسقًا، والتزيين للذين في قلوبهم مرض يزيدهم فتنة إلى ما عندهم من فتن. إن الرسالة محمية، وليس فيها نطق عن هوى أو عن شيطان.

---

(١) سورة الحج آية ٥٢.

لا أدري كيف قالوا: إن كلمة تمنى تعني (قرأ)، إن التمني هو خاطرة أو خواطر في النفوس: وأينما وردت كلمة التمني أو الأمنية أو الأماني أو أمانيهم فقد أخذت معنى خاطرة في النفس أو خواطر النفس، فلماذا ذهب بعض المفسرين لهذا المعنى الغريب الذي لم تسنده هذه الآية ولم تسنده آيةٌ أخرى.

٥. من الذي عنده علم من الكتاب؟

قال الشيخان الشوكاني والأشقر في قوله تعالى في سورة النمل ٣٨-٤٠: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾[1] فرد عليه عفريت من الجن بأنه يستطيع أن يأتي بهذا العرش قبل أن يقوم رسول الله سليمان من مقامه، فرد آخر وهو الذي عنده علم من الكتابِ وقال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قال الشيخان: (وقيل هو سليمان نفسه كأن سليمان استبطأ ما قاله العفريت فقال له تحقيرًا لمقدرته ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾)، سليمان (عليه السلام) لم يعقب على كلام العفريت لأن عفريتًا آخر تولى الأمر واستبطأ قول أو عمل العفريت الأول فقال لسليمان أنا آتيك به، والكاف ضمير يعود على سليمان (عليه السلام) ولذلك قال رسول الله شاكرًا هذه النعمة التي لم يحصل عليها غيره ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ ثم أمر العفاريت أن تنكر العرش؛ أي أن العرش أُحضر حالاً ثم بدأ تنكيره.

سليمان (عليه السلام) يأمر الجند الذين سخرهم الله له، هل سليمان يقول للعفريت ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ إن العفريت مأمور لدى سليمان (عليه السلام) وهذا الافتراض يجعل العفريت هو السيد، معاذ الله أن يفكر أحد بهذا.

وردت هذه الآيات في سورة النمل من آية(٣٨-٤٠)[2].

---

(١) سورة النمل آية ٣٨.

(٢) ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ

٦. رُوي، هل يجوز أن نقول (روي عن تسجر البحار؟)

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾[1]، ووردت هذه الآية أيضًا في سورة الطور آية ٦ بقوله تعالى ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾.

ماذا قال الشيخان الشوكاني والأشقر في هذه الآية؟

قالا: (البحر المسجور أي الموقد، وقد روي أن البحار تسجر يوم القيامة).

لا. لا يجوز أن نقول (روي)، كأننا لم نقرأ القرآن وكأننا غير متأكدين من حدوث السجر (أي الاحتراق)، إنه سبحانه ذكر احتراق البحار في آيتين، فهل نتساءل بعد ذلك عن البحار ونقول رُوي، ثم إن الشيخين يحسان بهذا التجاوز لأنهما يستدركان يقولان في تفسيرهما (أوقدت البحار فصارت نارًا تضطرم)، يجب عدم ذكر كلمة (رُوي) أبداً.

٧. ظن يونس أن الله لا يقدر عليه!

قال ﷻ: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[2].

قال الشيخان الشوكاني والأشقر: (وقع في ظنه أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته)، وقيل إنه ظن أن الله تعالى لن يُقدّر عليه العقوبة.

إن التفسير الأول مخالف لأي نظر من إنسان مسلم أو غير مسلم، فلا يعقل أن يظن أحد أو يخطر بباله أن الله تعالى فاطر السماوات والأرض لا يقدر على معاقبة إنسان وهو ﷻ خالقه!

وأما التفسير الثاني وهو ظنه أن لن يُقدر الله عليه العقوبة فإنه ابتعد في ذلك عن الحق، إذ لا يجوز لأحد أن ينوب عن الله في أمره ونهيه أو في العقاب والثواب.

٨. فما يكذبك بعد بالدين؟ من الذي كذّبَ؟

هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

(١) سورة التكوير آية ٦.

(٢) سورة الأنبياء من آية ٨٧.

قال عز وجل في سورة التين ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾﴾؟

يقول الشيخان: (وقيل الخطاب للنبي (ﷺ) ومعناه: أي شيء يجعلك يا محمد مكذبًا بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة، فاستيقن مع ما جاءك من الله أنه أحكم الحاكمين).

لا. ليس الأمر كذلك مطلقًا، إن هذا الاتجاه في فهم الآية خاطئ، إن الضمير وهو الكاف في كلمة (يكذبك) لا يعود إلى الرسول محمد (ﷺ) إنه يعود للإنسان المذكور في قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾[1] ولم تذكر كلمة الرسول أو أي نبي حتى نظن أن (الكاف) عادت إلى الرسول النبي، الضمير عاد على الاسم المفرد (الإنسان) في الآية ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

إذًا المعنى هو: ما يكذبك أيها الإنسان بالدين بعد ما رأيت كيف ارتد ذلك إلى أسوأ حال وأقبح مشهد في أرذل العمر وانظر إلى النتيجة الخاتمة وهي جهنم.

---

(١) سورة التين آية ٤.



في تفسير السعدي

آيات فسرت على غير وجهها

١- وسيدا وحصورا

قال ﷻ في سورة آل عمران آية ٣٩: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾[1].

قال الشيخ السعدي: الحصور الممنوع من إتيان النساء!

لا يجوز حصر هذه الكلمة (حصورًا) في المنع من إتيان النساء، إن لها معاني كثيرة ولذلك نأخذ المعنى الأنسب والأجود لمقام الرسول (عليه الصلاة والسلام) فقد وجدت أن من معانيها: (الرجل ذو الهيبة)، ومن معانيها (الذي يمنع الاعتداء على الآخرين) ومن معانيها (الذي ينقي نفسه بنفسه): أي أن الإنسان الحصور صفة تفيد الكثرة البالغة من حاصر النفس. فهو رجل لم يخضع للشهوات طوال حياته، أما أن يكون رجلاً بغريزة جنسية ثم يمنعه أحد عن الحلال أو لا يستطيع أن يأتي الحلال فهو ليس شيئًا حسنًا؛ إن إتيان النساء بالحلال شيء طيب، وقد بُني على هذا الإتيان مجيء الذراري وعمران الأرض، وإذا كانت كلمة حصور لمنع الرجل عن النساء فإن النتيجة انقطاع النسل وترك الحلال وهذا ليس حسنًا.

٢- لن يجعل الله للكافرين سبيلاً على المؤمنين

قال ﷻ في سورة النساء آية ١٤١: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝١٤١﴾[2].

قال الشيخ السعدي: لا يزال الله يدفع تسلط الكافرين كما ترى، أي أن هذا في الدنيا.

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٩.

(٢) سورة النساء من آية ١٤١.

لا. ليس كذلك، فالكافرون تسلطوا على البلدان الإسلامية كلها ولا سيما العربية، لقد أُجبر سكان الأندلس على اعتناق المسيحية أو قتلوا، واحتلت فرنسا بلاد المغرب، ووقعت بلاد المشرق تحت سيطرة الإنكليز والفرنسيين، ووقعت الأرض المباركة تحت سيطرة بني إسرائيل. لو قال الشيخ ليس لهم سبيل على المؤمنين ما تمسك المؤمنون بدينهم لكان مقبولاً، ولو قال هذه تخص الآخرة لكان مقبولاً أما نفي السبيل علينا دنيا وآخرة من غير شروط فهو غير سليم.

٣- الأمة الوسط

قال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(١).

يقول شيخ السعدي: أي جعل المسلمين كاملين يحكمون على الناس من سائر الأديان ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول فهو المقبول.

نحن نشهد على الناس يوم القيامة، والسبب أن القرآن الكريم اشتمل على آيات كريمة تتحدث عن آدم وابنيه ونوح وقومه وشعيب وقومه وموسى وقومه. فنحن نعلم من القرآن أشياء كثيرة عن تلك الأمم، ولذلك نستطيع في يوم القيامة أن نشهد مع الرسل على أقوامهم، ولكن لا يوجد أحد يطلب شهادتنا الآن، والناس الآن يتحكمون بمصائرنا، إن هذا القرن الذي نعيش فيه وهو القرن الخامس عشر الهجري أو القرن الحادي والعشرون الميلادي الذي يقابله إنما هو قرنٌ فُرض علينا بالهوان والمذلة والتبعية والانحدار ونحن الآن في خضم المحنة، وعسى أن ننجو منها قريبًا.

إذًا أمتنا فاضلة وسوف تقدم شهادتها على أمم كثيرة يوم القيامة، هناك شهادة بدخول الجنة للمؤمنين وشهادة أخرى بدخول الكافرين، هذه الوسطية أي هذه الأفضلية لأمة الإسلام لا يعلوها ما هو أفضل منها، والذي يشهد لنا أو علينا هو رسول الله (ﷺ) وقد ذكر عنه أنه دعا لأمته بالنجاة يوم القيامة، وأنه سجد وبدأ يحمد الله وأعطاه تعالى خيرًا كثيرًا، قال (ﷺ): (اختبأت شفاعتي لأمتي يوم يقوم الحساب).

---

(١) سورة البقرة من آية ١٤٣.

٤- يرونهم مثليهم

قال ﷻ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾[1].

يقول الشيخ السعدي: هذا إشارة إلى يوم بدر.

لا. ليس كذلك، لأن المسلمين يوم بدر قلّلهم تعالى في نظر المسلمين كما قلل المسلمين في نظر الكافرين، ولكن الله تعالى لم يحدد العدد أو النسبة في يوم بدر، لقد استهان المسلمون بالكفار لما رأوهم فتحمسوا للقتال، لقد رأوهم قلة لا تستطيع أن تصمد وفعل ذلك مع المشركين ليصروا على القتال، ويقضي الله أمرًا كان مفعولاً. أما في هذه الآية فإنهم رأوهم رأي العين بكل تأكيد، لم يكن هناك تقليل، ثم إن آيات بدر نزلت بعد المعركة، وإنما أوحي للرسول بنزول الملائكة والبشرى بالنصر.

٥- سبب غضب وفرض المذلة والمسكنة:

قال ﷻ في سورة آل عمران آية ١١٢: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾[2].

يقول الشيخ السعدي: هذه الآية عن اليهود، ذلك بأنهم يكفرون بآيات الله التي أنزلها على الرسول محمد (ﷺ) مع أنها موجبة لليقين، أي سبب الغضب وفرض المذلة والمسكنة كان بعد إرسال النبي محمد (ﷺ).

---

(١) سورة آل عمران من آية ١٣.
(٢) سورة آل عمران آية ١١٢.

لا ليس الأمر كذلك، فالآية عامة، وضربت عليهم الذلة قبل الرسول محمد (ﷺ) وباءوا بغضب الله قبل أن يأتي نور الإسلام، لماذا؟ لأنهم كفروا بآيات الله، وكفروا بما جاء به موسى (عليه السلام) وكفروا بما جاء به الرسل (عليهم السلام) الذين جاءوا بعد موسى وكفروا بالمسيح (عليه السلام) وحاولوا قتله بالاشتراك مع الروم والوثنيين في ذلك العصر؛ وأضافوا إلى الكفر بلاء آخر وهو قتل نبيين سابقين مثل النبي يحيى (عليه السلام).

٦- هل خلود أهل النار دائم؟

اشتبه تفسير آيتين في سورة هود على شيخنا السعدي، وأما الآيتان فهما: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾[1].

الحالة الأولى هي حالة أهل النار، **والحالة الثانية** هي حالة أهل الجنة، وكلتا الحالتين جاء فيها هذه العبارة التي تشبه حالة المستثنى وهي ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ﴾، فهل نفهم أن كلتا الحالتين ستنتهي؟ فإذا خرج أهل النار فأين سيذهبون، كأن المعنى يفيد أنهم سيخرجون إلى الجنة، إذًا إلى أين يخرج أهل الجنة؟

قال الشيخ السعدي في الحالة الأولى أي حالة أهل النار: خالدين فيها أبدًا إلا المدة التي شاء الله أن يكونوا فيها وذلك قبل دخولها! المعنى الذي يحدثنا الشيخ عنه غامض أو قل غامض جدًا، ماذا يعني الشيخ بقوله إلا المدة التي شاء الله أن يكونوا فيها وذلك قبل دخولها! إن أهل النار إذا دخلوا فيها لا يخرجون منها لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[2]، ثم إنهم قبل أن يدخلوها كانوا في مواقف الحساب ولم يكونوا في النار، فالمدة السابقة للدخول ليس لها علاقة بقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾.

---

(١) سورة هود من ١٠٦-١٠٨.
(٢) سورة البقرة من آية١٦٧.

وأما الحالة الثانية وهي: دخول المؤمنين الجنة ثم الخلود في الجنة ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، فقد بيّن الشيخ أن أهل الجنة دائمون في هذا الموضع الممتاز وأنهم يعطون عطاء غير منقطع، ولم يتعرض الشيخ لعبارة الاستثناء ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾.

وأقول إلا بمعنى غير: والآيتان عن أهل النار وأهل الجنة ليس فيهما شبهة إذا استطعنا أن نفسر كلمة (إلا)، فهذا الحرف عند بعض العرب يأتي بمعنى (غير).

يقولون: إلا ما شاء ربك بمعنى: غير ما شاء ربك إن اللغة العربية مثّلت بجميع العرب وإن كان طابعها العام هو لهجة قريش. فيكون المعنى: أهل النار دائمون في العذاب في النار وهذا غير ما يعذبهم الله بعذاب غير النار، كالاستغاثة والزمهرير والطعام.

وأهل الجنة دائمون في نعيمها غير ما ينالون من النعم من خارج الجنة، كرؤية الله وسلام الملائكة وغير ذلك.

عند الصابوني آيات فسرت على غير وجهها

(١) في الكهف

وذلك في كتابه (صفوة التفاسير)، قال في شرحه للآيات الكريمة التي تتعلق بدخولهم الكهف واعتزالهم عبدة الأصنام، قال:

فلما مثلوا عند الملك، أي لما مَثُل الفتية المؤمنون عند الملك قال لهم: إنكم فتية وقد أخرتكم إلى الغد لتروا رأيكم، فهربوا ليلاً ومروا براع له كلب فتبعهم، فلما كان الصباح آوَوْا إلى الكهف، وتبعهم الملك وجنده، فلما وصلوا إلى الكهف فزعوا منهم، فقال الملك سدوا عليهم الغار حتى يموتوا جوعًا وعطشًا وألقى الله على أهل الكهف النوم.

هذا قول الصابوني في كتابه الجزء الأول في صفة ١٨٣

إن قوله (مثلوا عند الملك) ليس له آية تدل عليه، والآيات تقول إن اجتماعهم كان بين بعضهم بعض، فالآية الكريمة ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾[1] وتقول الآية التالية: ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾[2] إن هؤلاء الفتية كانوا مؤمنين إيمانًا مثاليًا، وهم الذين اعتزلوا قومهم، فأراد الله تعالى أن يجعلهم مثلاً لقدرته وينزل عليهم رحمة من رحمته فقد ظلوا في الكهف ثلاث مئة سنين، وأظن أن السنين التسع بعد ذلك كانت وهم أحياء في قومهم حتى يعلم كل إنسان ما هي القدرة الإلهية؛ قال سبحانه: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾[3] «وعندما صحا هؤلاء المؤمنون الفتية

---

(١) سورة الكهف آية ١٤.
(٢) سورة الكهف آية ١٥.
(٣) سورة الكهف آية ٢٥.



أوصوا الرجل الذي كلفوه بالذهاب إلى السوق ليشتري طعامًا أوصوه وحذروه من تعرفهم عليه حتى لا يتعرضوا للرجم، ولكنهم في السوق تعرفوا عليهم، وليس كما يقول الشيخ الصابوني أن الملك عثر عليهم، إنه لم يعثر عليهم أحد طوال ٣٠٠ سنة».

لم يقل الملك سدوا عليهم الباب، فالكلب كان بالباب باسطًا ذراعيه وكانت الشمس تعطيهم نورها عندما تغرب وهم في فجوة واسعة في مكان منفتح، ظلوا كذلك حتى بعثهم الله تعالى من مرقدهم فعلموا وعلم أناس ذلك العصر ومن بعدهم كيف سيكون البعث وكيف تأتي الساعة.

ثالثاً: هل يسمح الإسلام بالاسترقاق؟

قال لي جاري وأنا أحاوره لماذا يبيح دينكم (الإسلام) استعبادَ الناس؟ لقد استقر في ذهن جاري أن ديننا يحتوي على أخطاء، وهو يخالف طبيعة الحضارة الحالية التي تفرض الحرية في مختلف مناحيها واتجاهاتها، إن جاري من أهل الكتاب، وهو يسأل لأنه سمع بذلك ويستغرب أن يكون ذلك في أي دين.

الإجابة: لا، لا

المسألة ليست عاطفية ولا معارضة عشوائية، إن الآيات الكريمة هي القول الفصل، وقد كان جاري هادئًا ومستمعًا جيدًا، قلت علينا أن نعود لآيات كتاب الله؛ وهي الحَكَم لأنها من رب العالمين جميعهم.

أولاً: آيات تتعلق بتجفيف مصادر الاسترقاق:

لقد حرّم القرآن الكريم المصدرين الرئيسيين وهما: الاسترقاق بسبب الحرب، كما حرم سرقة الناس ثم بيعهم، والمقصود بالسرقة تلك التي قام بها الأوروبيون في إفريقيا ونقلوا من سرقوهم بالقوة بالسفن إلى أمريكا ليبيعوهم هناك بأثمان بخسة، وهذه هي الآيات التي تحرم المصدريْن. وقبل أن أذكر المصدريْن أتساءل: لماذا سمحت حكومات أوروبا للسارقين أن يسرقوا ويبيعوا من سرقوهم؟ هل هذا حضارة؟

أ. الحرب

قال ﷻ في سورة محمد آية ٤: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾[(١)].

يقول الشيخان الشوكاني ومحمد سليمان الأشقر: فإما أن تمنوا بعد الأسر مَنًّا أو تفدوا فداءً، والمن هو الإطلاق بغير عوض، والفداء هو المال يفدي به

---

(١) سورة محمد آية ٤.

الأسير نفسه من الأسر والإمام ملزم بعد الأسر بشيئين هما المنّ أو الفداء، والله تعالى قادر على الانتقام منهم من دون قتال ولكنه جل وعلا يريد أن يبرز لكم الصابرين من غير الصابرين، فيجزل الثواب للصابرين ويعذب الكفار بأيديكم).

وقال الشيخان هذه الآية محكمة، فليس فيها تأويل أو اختلاف في الرأي.

ب. السرقة والنهب

اشتدت عقوبة السرقة فالسارق تقطع يده والسارقة تقطع يدها. قال ﷻ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[١].

وأقل نصاب في السرقة ربع دينار، ولا بد أن تكون في حرزٍ وإن لم يكن حرزًا فلا قطع، تقطع اليد اليمنى من الرسغ سواء أكان السارق رجلاً أم كانت امرأة.

فإذا كانت العقوبة على سرقة ربع دينار هي القطع، فهل يسمح إذًا بسرقة إنسان كامل، لقد انتهى استرقاق الإنسان عن هذا الطريق أي عن طريق السلب والنهب.

حديث شريف: قال رسول الله (ﷺ): (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يوفه أجره، ورجل عاهد بي ثم غدر، ورجل باع حرًا وأكل ثمنه).

لا يجوز تحويل الإنسان الحر إلى العبد، لا يجوز سرقة أي شيء، فالسرقة عليها جزاء، وإن كانت من حرز فعليها القطع؛ ولو كانت ربع دينار. لقد جفف مصدر نهب الناس ثم بيعهم، لقد حرم الله تعالى السرقة في أي شيء.

هذان المصدران هما الرافدان لبحيرة الاستعباد، ولكن كان في مكة المكرمة والمدينة المنورة وسائر بلاد العرب عبيد، فماذا جاء في القرآن من آيات كريمة حتى ينقذ هؤلاء العبيد من الاسترقاق؟

---

(١) سورة المائدة آية ٣٨.

ثانياً: آيات تحرير العبيد:

١. الآية العامة في هذا السياق هي آية الزكاة، وهي فريضة على كل مسلم بالغ عاقل إذا كان يملك النصاب من المال، وهي تجمع بواقع ٢.٥ دينار على كل مئة دينار، ومن كان يملك الضأن أو المعز أو الجمال أو البقر فعليه الزكاة أيضًا، والتجارة عليها زكاة والزراعة عليها زكاة، إنها أموال طائلة، ولتحرير العبيد نصيب فيها، كيف ذلك؟

تدفع هذه الزكاة لثمانية أصناف من الأمة هم: الفقراء والمساكين والموظفون الذين يجمعونها والمؤلفة قلوبهم أي الذين يميلون لاعتناق الإسلام أو الناس الذين يشكلون خطرًا فيعطون مالاً من الزكاة لنكف شرهم عن الأمة وفي الرقاب وهم العبيد لتحريرهم والمدينون وفي سبيل الله من أعمال القتال ضد العدو أو لأعمال الخير ولابن السبيل أي الإنسان الذي فقد ماله في أثناء السفر فيعطى مالاً ليكمل سفره وليستطيع أن يعيش.

إذًا كل الأمة الإسلامية فُرض عليها أن تجعل جزءًا من أموالها لتحرير العبيد، إن كل مسلم يعلم أن جزءًا من ماله يذهب إلى هذا البند من الأبواب الثمانية وهو (في الرقاب أي تحرير العبيد).

٢. التطوع لإعتاق رقبة.

في سورة البلد في الآيات من (١١-١٣)[١] حث عام من الله تعالى لجميع المسلمين بأن يقتحموا العقبة، والعقبة هي الموانع التي تمنع المسلم من بلوغ طاعة الله، وقد استُهل هذا الحث بالتطوع لتحرير عبد، ثم يتلوه إطعام جائع في يوم مجاعة ولا سيما اليتيم ذا القربى، أو إعانة مسكين لم يجد شيئًا من اللباس أو المَسْكَن، والآيات التي تأمر بذلك هي: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾﴾. يُطلب من كل من يريد التقرب إلى الله أن يحرر عبداً أو أكثر.

٣. حلف اليمين:

---

(١) ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ سورة البلد.

أي مُسْلم يُقسم بالله قَسمًا موثقًا ويقصده وليس مجرد لغو ثم لم يُنفّذ أي أهمله وكأنه لم يُقسم فعليه كفارة، فالله تعالى أوعده بالعذاب إن لم يُنفذ اليمين أو يؤدي كفارة، وهي كما يلي:

أ- إطعام عشرة مساكين
ب- أو كسوة عشرة مساكين.
ت- أو تحرير رقبة.

فإن لم يستطع إن يفعل أيًا منها فعليه صيام ثلاثة أيام.

ما أكثر من يُقسم ثم يتراجع عن قسمه، فعليه الكفارة. وهذه كلمة الله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾[1].

٤. المكاتبة:

في سورة النور آية ٣٣ قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[2].

يقول الشيخان المفسران الشوكاني ومحمد سليمان الأشقر: أن يكاتب الرجلُ عبده على مال يؤديه منجمًا فإذا أداه فهو حر، وأما الجملة القرآنية ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ فقالا فيها: الخير هو القدرة على الأداء، وأما الجملة القرآنية التالية لها وهي ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ فقالا فيها: أن يحطوا عنهم ما كوتبوا عليه من المال.

(١) سورة المائدة آية ٨٩.
(٢) سورة النور من آية ٣٣.

إذًا يحق للإنسان العبد أن يطلب من مالكه الحرية بشرط أن يدفع له شيئًا من المال، وأمر الله تعالى أن نكاتبهم كما أمر أن نخفض المطلوب منهم بل أن نعطيهم مالاً لنساعدهم في حياتهم المقبلة.

٥. آية القتل الخطأ[١]:

في سورة النساء يقول تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ ويقول تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ ويقول ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾.

إذًا في كل الحالات التي يُقتل فيها أحد فلابد من الكفارة، وتحرير الرقبة المؤمنة بند رئيس من بنودها.

ملاحظة: هذا التوسع في تحرير الرقبة أشعر المسلمين بأن إنقاذ أي رقبة فيه خير كثير، وقد تسابق المسلمون في هذا الميدان لاسيما عند رؤيتهم لرسول الله (ﷺ) وهو يعتق من كان لديه بعد نزول آيات تحرير العبيد، وإذا كانت العبودية إذلالاً لحياة الإنسان فمن الذي يعطف على هذا الإنسان أكثر من ربه؟

---

(١) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ سورة النساء آية ٩٢.



رابعًا: نوح والغرق

هل غرق العالم في عهد نوح؟

لا. لا. لا

لا لم يغرق العالم، والخالقُ ﷻ لم يقل إنه أغرق العالم ونجّى نوحًا والمؤمنين من قومه فقط، ثم لا يصح القول إن البشرية كلها من أولاده الثلاثة، إنها شكوك وظنون، والقرآن الكريم الذي أعطى صورة كاملة عن الخلق أوله وآخره لا يقول بذلك، وهذه الآيات الكريمة تتناول رسالة نوح والغرق وما حولهما، إن الراويات عن الغرق ليس لها مصدر موثوق لا في القرآن الكريم ولا في الكتب العلمية.

١. سورة يونس ٧٣

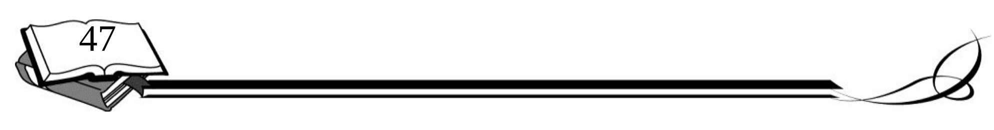
قال ﷻ يصف وضع نوح في قومه وما لاقاه من تكذيب: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾[1].

وشرح ذلك كما يلي: إن قوم نوح كذبوه، ونحن نعلم من آيات أخرى أن مدة تكذيبهم طالت حتى بلغت (٩٥٠) سنة، ودعا نوح ربه بما يُحِسُ به فقال: أنا مغلوب فانتصر، فجاء دور الإنقاذ، ليهلك تعالى من كذب، وليس العالم، يهلك من جاءهم النذير فكذبوه وليس هناك سبب ليهلك بشراً لم يرتكبوا ذنبًا، لقد عرض عليهم آيات ربه فلم يعطوها أي اهتمام، وكذبوها كما كذبوا رسول الله، ولذلك أمر نوح بأن يأخذ أهله المؤمنين معه إلى السفينة التي شحنت شحنًا بما فيها من الخلق وحاجاتهم، ثم جاء المطر وهو غزير كثيف جدًا، وصارت الأرض عيونًا تدفع الماء دفعًا، فغرقت تلك النفوس المكذبة، حتى ابن نوح غرق لأنه كان من المكذبين ولم يعلم بتكذيبه لأنه كذّب والده خفية لقد غرق المكذبون جميعًا، لم يغرق إلا المكذبون، فالذي لم يُكذب ناج زمن نوح أو في غير زمنه، ومن كان في السفينة نجوْا ورزقهم الله ذريات صالحة.

دعاء نوح بالنجاة

---

(١) سورة يونس آية ٧٣.



سورة الشعراء آية ١٢٠ يقول ﷻ: ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ١٢٠﴾[١].

قال المفسرون والشارحون من العلماء الأفاضل: (يا رب افتح بيني وبين قومي، وهذه إشارة إلى أن نوحًا يئس من قومه فدعا الله تعالى أن يحكم بنيه وبين قومه وهو أعلم بما يفعل كل فريق، وقال نوح اللهم نجني منهم).

وقالوا: إن السفينة كانت مملوءة بالناس والدواب والمتاع. وقالوا: ثم أغرق الله (جل وعلا) الباقين من قومه.

الحديث كله عن قوم معينين، هم قوم نوح (عليه السلام)، فلماذا يذهب بعضهم إلى الشك والارتياب فيظن أن العالم كله قد غرق، ولماذا يغرق الله تعالى العالم دون إثم فعلوه أو باطل ارتكبوه.

إغراق قوم نوح

وفي سورة الأنبياء ٧٧، قال عز من قائل: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٧٧﴾[٢].

دعا نوحٌ ربه بإهلاك الظالمين، فاستجاب له ربه، ومنع تعالى الأذى عن نوح وعن المؤمنين، ثم جاء دَوْر الغرق، فأغرق الله تعالى المشركين، أغرقهم جميعًا، غَرِق ناس، ونجا ناس، فالسيئون من قومه أغرقهم جميعًا، وأما نوح وأهله المؤمنون فقد نجوا في السفينة من ذلك الكرب العظيم؛ انظر إلى الضمير في كلمة فأغرقناهم: كانوا قوم سوء فأغرقناهم.

الحديث كله عن قوم نوح، دعا الله تعالى أن ينجيه من قومه فحفظه من أذاهم ثم نجاهم من الغرق، وأهلك قوم نوح، قال تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ

---

(١) سورة الشعراء الآيات ١١٨-١٢٠.

(٢) سورة الأنبياء ٧٧-٧٨.



كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ ، أي أغرق قوم نوح وليس غيرهم. غرقوا وجعلهم آيةً.

وفي سورة الفرقان تنبيه لتلك الإشارة الباقية لتدل على غرقهم، قال ﷻ (الفرقان ٣٧): ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾[١]. ماهي الآية؟ لقد بقيت السفينة في أعالي جبل الجودي في تركيا.

الرسل وأقوامهم جميعًا

في سورة الروم آية ٤٧.

هذه آية عامة تشمل الرسل الذين بُعثوا لأقوامهم فكذبوهم فأصاب تلك الأقوام عذاب شديد بسبب هذا التكذيب، لا تشير الآية إلى وقوع العذاب في غير (المنذَرين)، أي المنذرين الذين كذّبوا. قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٢].

قال المفسرون والشارحون من علمائنا الأكارم:

وأقول معهم: ممن انتقم الله تعالى؟ الجواب هو: انتقم الله تعالى من الفئة التي كذبت، بل التي أجرمَتْ، فإن الذي لا يطيع الله هو مجرم، وأما الذين أطاعوا الرسل فقال فيهم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

هذه قاعدة عامة لجميع سكان الأرض، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾، وجاء هؤلاء الرسل بالبينات، أي بالأدلة والبراهين التي تثبت صدقهم، وقد أُرسل كل رسول إلى قومه، فمنهم من آمن فنجا وَوَعَده بالجنة، ومنهم من كذّب الرسل فعاقبه تعالى في الدنيا وأوعده النار.

---

(١) سورة الفرقان من آية ٣٧.
(٢) سورة الروم آية ٤٧.

آيات في الإغراق تشمل نوحا وغيره.

١. غرق آل فرعون كما غرق قوم نوح، ونجّى الله المؤمنين في الحالتين. قال ﷻ في سورة الشعراء آية ٦٥-٦٦: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[1] نجّى المؤمنين وأغرق تعالى الآخرين، لا يجوز أن نقول غرق العالم.

٢. وفي سورة الشعراء أيضًا آية ١٧٠-١٧١، يقول ﷻ: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾[2]، والعجوز هي امرأة لوط فقد خرجت عن طاعته.

ويقول ﷻ: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[3] فالآخرون هم قومه، ولم يَهلك معهم بنو كنعان الذين كانوا معاصرين لتلك الحوادث، بل قل لم يغرق العالم معهم، ولا أدري كيف أغرقوا العالم مع قوم نوح!

٣. قوم نوح في سورة الفرقان آية ٣٧، قال ﷻ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾[4].

هذه الآية واضحة جدًا ومعناها محدد جدًا، فقوله تعالى ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ يحدد به فئة من الناس اسمها قوم نوح لا يتجاوز إلى غيرهم، فالمعنى محدد، وهو أنهم لما كذبوا أغرقهم جميعًا، ثم كان لهم في الآخرة عذاب عظيم.

٤. إنذار قوم نوح

سورة نوح آية ١، يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن

---

(١) سورة الشعراء آية ٦٥-٦٦.
(٢) سورة الشعراء آية ١٧٠-١٧١.
(٣) سورة الشعراء آية ١٧٢.
(٤) سورة الفرقان آية ٣٧.

﴿قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾[1].

فالمنذورن هم قومه لا قومٌ غير قومه ولا بشر من أي جزء في العالم، إذًا بَلّغهم فإن لم يستجيبوا لك وأعرضوا عنك فسيأتيهم عذاب أليم، الوعيد لقومه وليس لأي من العالم.

٥. في سورة العنكبوت ١٤ يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤﴾[2].

تكرر الضمير (هم) ثلاث مرات ليبين أن الغرق وقع في قوم نوح لا في غيرهم، والضمير عادة يرجع إلى اسم سابق، ولا يوجد إلا اسم واحد هو قوم نوح، فلم يغرق غيرهم، وغرقوا لأنهم ظلموا.

وفي الآية ١٥ من العنكبوت أيضًا ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٥﴾[3]، جعلنا السفينة التي رست على جبل الجوديّ آيةً تدل على عظمة ذلك الموقف لمن يشهدها من الناس.

تساؤل ورد:

ربما يتساءل بعض القراء فيقولون: لماذا هذا الاهتمام بغرق قوم نوح المكذبين، وسواء علينا أغرق العالم معهم أم لم يغرق، فإن هذه القضية لا تعنينا كثيرًا؟

وأقول: لهم الحق أن يروا ذلك، وأن يقولوا ما يشتهون، ولكني أفهم من قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾[4]، أفهم أن كل مسلم مطالب بفهم كتاب الله إن استطاع وكلمة (يتدبرون) تفيد الجمع، إذًا علينا جميعًا أن نفهم كتاب الله وذلك ضمن الطاقة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[5].

---

(١) سورة نوح آية ١.
(٢) سورة العنكبوت آية ١٤.
(٣) سورة العنكبوت آية ١٥.
(٤) سورة محمد آية ٢٤.
(٥) سورة البقرة من آية ٢٨٦.



خامساً: القرآن للجميع فلا استثناء لأحد:

أقصد بذلك أن القرآن الكريم نزل لجميع البشر، لا يستطيع أحد أن يتنصل من ذلك، لا يستطيع اليهودي أن يهجره بدعوى أنه نزل عليه كتاب، ولا يستطيع المسيحي (النصراني) أن يتنصل منه بدعوى أنه نزل عليه كتاب، ولا يستطيع الأميون في كل مكان وهم الذين لا كتاب لهم ولم يصل إليهم رسول من قبل – ولا سيما العرب – أن يتنصلوا منه فقد جاء لرجل منهم، وقد كان مأمورًا بمخاطبة الجميع، وقد وفّى رسول الله محمد بن عبدالله بذلك، إذًا جميع البشر مخاطبون بالإسلام، وقد نزل إليهم جميعهم لكي ينالوا الرحمة منه، الرحمة في الدنيا والآخرة.

المجاورون لي في مسكني:

لقد قال بعضُ من أجاورهم من النصارى إن القرآن نزل لكم أي للمسلمين، ولذلك لا يعنيهم القرآن في شيء، والتقيت بفئات من المسيحيين من غير جيراني، كما التقيت بيهود في الضفة الغربية، فقالوا كما قال المجاورون لي، إن هذا الظن من الأخطاء التي وقع فيها غير المسلمين، وما عليّ وما على أمثالي من المسلمين إلا أن يبينوا أن القرآن للجميع، والمسلم الذي لا يبين ذلك آثم وظالم لنفسه؛ لأن القرآن الكريم يشتمل على عدة آيات تلفت النظر إلى أن كلمات الله في القرآن عامة، شاملة لا تختص بأمة وحدها ولا بأهل مكة وحدهم ولا بقريش وحدها، وسوف أذكر بعض الآيات من القرآن الكريم التي توجب على الجميع اتباع كلمات الله، وهي تشمل الجميع، ولا تستثنى من البشر أحداً، وإذا قصّرنا في بيان ذلك أثمنا، فالقرآن الكريم كتاب الله تعالى لجميع البشر، وعلى كل من عَرَفَهُ أن يبلغ من لم يعرفه، يقول ﷻ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾[1] ويقول ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[2].

---

(١) سورة المدثر آية ٢-٣.
(٢) سورة النحل آية ١٢٥.

أهل الكتاب والعرب

الآيات من سورة البقرة ٢٠، قال ﷻ: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾[١].

وهذا شرح الآية في كتاب صفوة البيان للدكتور حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية سابقًا: قال: هذه الآية مِنْ أصرح الأدلة على عموم بعثته (ﷺ)، وقد نطقت آيات عدة وأحاديث بذلك، وتعني كلمة (الأميون) من ليس لهم كتاب، وبالذات في هذه الآية تعني: المشركين من العرب.

سورة الأعراف ١٥٨: الأمر للناس جميعًا بأن يتبعوا الرسول قال ﷻ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[٢].

الشرح: قال الشيخ محمد علي الصابوني الأستاذ بكلية الشريعة والدارسات الإسلامية في جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة:

هذا بيان لعموم رسالته (ﷺ) لجميع الخلق، أي قل يا محمد للناس إني رسول الله إلى جميع أهل الأرض ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي المالك لجميع الكائنات ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي لا رب معبود سواه ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي آمنوا بالنبيّ الأمي صاحب المعجزات وصدقوا برسوله المبعوث إلى جميع خلقه ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾أي اسلكوا طريقه

(١) سورة البقرة آية ٢٠.
(٢) سورة الأعراف آية ١٥٨.

واقتفوا أثره إن أردتم الهداية ثم الفلاح.

سورة الزمر آية ٤١ مخاطبة الناس دون استثناء قوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾(١).

قال الإمام الشوكاني ومحمد سليمان عبدالله الأشقر في كتاب زبدة التفسير: أنزل الله تعالى الكتاب لأجل الناس، وبيان ما كلفوا به، فمن عرف طريق الحق وسلكها فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل على نفسه، فضرر ذلك عليه لا يتعدّاه إلى غيره، وأنت أيها الرسول مبلغ ولست مسؤولاً عنهم.

سورة سبأ ٢٨ أرسل الله تعالى محمدًا للناس كافة قوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾(٢).

قال حسنين مخلوف: لقد أرسلناك للناس جميعًا، وأصله الكفّ أي ليمتنعوا عن الإثم والفسق والعدوان، وصارت تفيد المعنيين المنع والعموم؛ بل اشتهر فيه العموم.

لِمَنْ رحمة الله؟

قوله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

---
(١) سورة الزمر آية ٤١.
(٢) سورة سبأ آية ٢٨.

وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(١).

إذًا سيكتب سبحانه الرحمة للمتقين، مَنْ هؤلاء المتقون؟

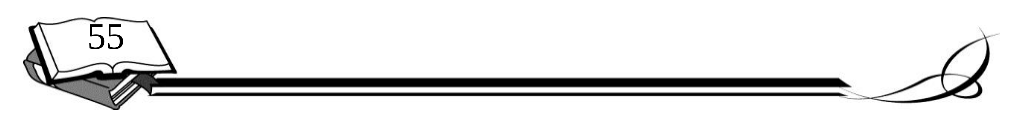
يقول الصابوني: هم الذين يتقون الكفر فيبتعدون عنه، ويؤتون زكاة أموالهم ويردونها على فقرائهم، ويصدقون بجميع الكتب والأنبياء؛ هؤلاء الذين تنالهم الرحمة هم الذين يتبعون محمدًا(ﷺ) النبي العربي الأمي، وهو الذي يجدون نعته وصفاته في التوراة والإنجيل، وهو لا يأمر إلا بكل شيء حسن، ولا ينهى إلا عن كل شيء قبيح، وهو الذي يخفف عنهم التكاليف الصعبة التي كانت عليهم، فالذين صدقوا بمحمد وعظموه ووقروه ونصروا دينه واتبعوا القرآن وشريعة محمد المجيدة فقد اهتدوا وأفلحوا.

فاليهود والنصارى أصحاب الكتابين مكلفون ومأمورون أن يؤمنوا بمحمد (ﷺ) فهو قد أرسل إلى جزيرة العرب، لكن الله (جل وعلا) أمر رسوله بأن يبلغ مَنْ استطاع، وهذا سر إرساله الرسل إلى المشركين الأميين في الجزيرة العربية وإلى قيصر الروم وهو مسيحي وإلى رئيس القبط في مصر وإلى كسرى في بلاد الفرس الذي لم يكن من أهل الكتاب، لأن الرسالة عامة، وهو الذي يزور بيت مدراس وهو بيت فقهاء بني إسرائيل ومعهد علوم ومجمع أحبارهم في المدينة ليبيّن لهم أن اليهود مخاطبون بالإسلام كما الناس جميعًا مخاطبون به، وعليهم أن يسلموا، وعلى جميع الناس أن يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وعليهم أن يحللوا ما أحل الله في القرآن وأن يحرموا ما حرم، وعليهم أن يأخذوا بالمناسك التي جاء بها الرسول وأن يتقيدوا بالتعاملات التي جاء بها.

وأما الآية التي تليها فهي قوله ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ

---

(١) سورة الأعراف الآيات ١٥٦-١٥٧.



بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[1].

يقول الشيخان المفسران الشوكاني والأشقر: أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدًا (ﷺ) أن يقول هذا القول المقتضي لعموم رسالته إلى الناس جميعًا، لا كما كان غيره من الرسل (عليهم السلام) يبعثون إلى قومهم بخاصة.

فالرسول محمد أرسل للناس جميعًا، ولم يُستثن أحدٌ من البشر وهذا الرسول الكريم لم يهضم حق أحد من الرسل السابقين؛ فهو يؤمن بالله ويؤمن بكلمات الله في الكتب السابقة مثل صحف إبراهيم والزَبور والتوراة والإنجيل والقرآن، ثم أُمر الناس كما في الآية أن يتبعوه فإن اتبعوه فقد اهتدوْا.

وخلاصة العقيدة هي [﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ﴾]. وقد وصل الناس إلى الختام، فإن أخذوا بما جاءهم به النبي فقد اهتدوا وإن لم يأخذوا فعليهم وزرهم، وإلى الله مصير البشر جميعًا؛ فماذا سيقول أهل الكتاب لله عندما يسألهم: هل اتبعتم رسولي خاتم النبيين؟

نذير للعالمين، سورة الفرقان الآية ١ قوله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[2].

يقول الفرّاء وهو من أقدر علماء النحو في الكوفة في القرن الثالث الهجري: (تبارك، وتقدس) في اللغة العربية بمعنىً واحد وهو التعظيم والفرقان هو القرآن، وكلمة نزّل تفيد التنزيل حالاً بعد حال، ليكون التنزيل بهذه الطريقة أبلغ؛ وخوطب محمد بالعبودية تكريمًا له وتشريفًا، وكان رسول الله يطلب إلى أصحابه أن يخاطبوه بهذه العبودية فهي أحب أنواع المخاطبة إلى نفسه، وعسى أن نكون عبيدًا لله مخلصين، وأما قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ فيقول محمد سليمان الأشقر في كتابه زبدة التفسير: إنّ محمدًا (ﷺ) منذر للإنس والجن.

---

(١) سورة الأعراف الآيات ١٥٨.
(٢) سورة الفرقان آية ١.

القرآن لكم ولمن بلغ، سورة الأنعام ١٩.

قال عز من قائل: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)﴾[1].

قال الشيخ حسنين مخلوف: لقد طلبوا من الرسول (ﷺ) شاهدًا له بالنبوة فقال لهم: إن الله شهيد بيني وبينكم، وأنزل القرآن، وهو أكبر معجزة وأصدق دليل، وسوف أبلغه لجميع البشر ممن سيوجدون إلى يوم القيامة من سائر الأمم. قال رسول الله (ﷺ): (مَنْ بَلَغَ القرآن فقد شافهته) فكأنه قد شاهد الرسول (ﷺ) وحادث الرسول وشافهه؛ ليعتنق دين الإسلام، إن إنذار القرآن لأهل مكة حق مفروض على الرسول (ﷺ)، وأما من بلغه القرآن فقرأه أو سمعه فإنه حق على كل مسلم أن يبيّن آياته لهؤلاء الذين لم يؤمنوا فيوضحوا لهم المعاني، ويشيروا إليهم بأن كل سورة في هذا الكتاب معجزة للخلق جميعًا، ولقد جاء القرآن بكلام معجز؛ لأن الله تعالى يريد أن تكون معجزته متحدية لكل إنسان ينطق ويتكلم، قد تكون الآية عشر كلمات أو عشرين كلمة أو مئة، والإنسان عندما يتحدث مع أولاده أو زوجته أو أصدقائه فإنه ينبس بكلمات كثيرة جدًا، فما باله لا يستطيع أن يأتي بعشر كلمات أو عشرين أو مئة مشابهة لنظم القرآن وأسلوبه، لماذا لا يستطيع المجاراه؟ هذا هو كتاب الله، إنه يشمل مئة وأربع عشرة سورة، أقلها سورة الكوثر بعشر كلمات، وأكثرها سورة البقرة وفيها ٢٨٦ آية وهي تتجاوز الألفي كلمة، وكلها معجز، وكل سورة فيه معجزة.

ومَنْ يتمسك بغير الإسلام ما حكمه؟

سورة آل عمران ٨٥. قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾[2].

يقول المفسر الصابوني: من يطلب شريعة غير شريعة الإسلام بعد بعثة

(١) سورة الأنعام آية ١٩.
(٢) سورة آل عمران آية ٨٥.

النبي (ﷺ) ليدين بها فلن يتقبل الله منه ومصيره إلى النار.

وأقوال المفسرين الآخرين تصب في نفس المعنى، فإن كلمات الآية واضحة ومحددة، وهي من الآيات المحكمات، ومفاد الآية أن جميع البشر مطالبون باتباع آخر الرسالات، ومن لم يتبع رسالة القرآن وما جاء به خاتم النبيين فلن يقبل منه، وسوف يخسر الآخرة.

أهل الكتاب والصد عن السبيل

سورة آل عمران آية ٩٩ قال جل وعلا: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٩﴾[1].

خاطب الله جل وعلا أهل الكتاب فقال لهم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ٩٨﴾[2]، إذًا أي إنكار لأي آية من القرآن الكريم يعد كفرًا، فالله يأمر بالوحدانية فمن يقول بأن الله له ولد فقد كفر، ومن يقول بأن البقرة لها قداسة فقد كفر، ومن قال إن الزاني يحبس أو يُعزر أو يهان ولا يجلد ١٠٠ جلدة فقد كفر، أي دعوة لغير آيات القرآن كفر، وإن الجزء الأخير من الآية ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾ تدل على أن الله تعالى غاضب على كل من كفر بأي آية من القرآن، وأنه سيتلقى من الله شدةً؛ فالله لا يشهد على هذه الأعمال ليراها مجرد رؤية، إنه تعالى يُعد لفاعلها جزاءً عنيفًا إذا خرجوا عن الحق، وجزاء لطيفًا كريمًا، ونعمًا لمن رضي بالحق وتبعه.

والآية التالية عدّت واحتسبت كل عمل يقوم به أهل الكتاب في المدينة المنورة أو غيرها مخالفٍ لأي آية عدته صدًّا عن سبيل الله، فالله (عز وعلا) يأمر كل إنسان من أهل الكتاب أو من غير أهل الكتاب أن يقول الصواب، وما الصواب؟ الصواب هو ما أنزله الله جل وعلا على الناس كافة وهو القرآن الكريم وهو خاتم الكتب، وكان محمد خاتم النبيين، هذه إرادة الله، وما كان غير ذلك فهو العوج، والأنكى من ذلك أنكم ترون نبيكم ثم تعملون العوج.

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٩.

(٢) سورة آل عمران آية ٩٨.

وآخر جزء من الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ وعيد عنيف جدًا، ماذا تعني عبارة: وما الله بغافل في هذا المقام؟ إنّ أي حركة منكم مسجلة عليكم، وسترون نتيجتها في اليوم الآخر، وربما ترون نتائجها المُرة الشديدة عليكم مرتين، في ظاهر الأرض مرة، وفي باطن الأرض مرة، ثم تردون إلى الله لتكون الحياة جنة للمؤمنين ونارًا للكافرين.

الإيمان بموسى (عليه السلام)

سورة المائدة آية ٨١ حث القرآن اليهود على التمسك بالتوارة وبالنبي موسى (عليه السلام) حثًا شديدًا، لأن التمسك بهما هو تمسك بالقرآن والنبي محمد، فإن الدين واحد وكله يخرج من مشكاة واحدة. قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١﴾[1].

إذًا التوراة والإنجيل والقرآن كتب الله، ولا يجوز أن نبتعد عنها، فإن كل واحد منها يدل على ما يليه. ولو آمن اليهود بالتوراة لتركوا المشركين وآمنوا بمحمد (ﷺ).

الرسول للناس جميعًا:

سورة النساء ١٧٠. قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠﴾[2].

يقول الصابوني في تفسيره: لقد جاءكم محمد بالشريعة السمحة من عند ربكم وجاءكم بالحق، فعليكم اتباع ما جاء به إيمانًا وتصديقًا، وإن تكفروا بما جاء به محمد فإن الله لا يضره كفركم إذ له ما في الكون ملكًا وخَلْقًا وعبيدًا.

إن الله تعالى يأمر الجميع بالإيمان به وعدّ عدم الإيمان به كفرًا، وأبلغ

(١) سورة المائدة آية ٨١.
(٢) سورة النساء آية ١٧٠.

تعالى الناس بأنه عليم بهذا الإيمان، حكيم بما يدبره لهم في مختلف شؤونهم، فلا يخفى عليه (ﷻ) إيمان بكل مقتضيات الإيمان، ولا يخفى عليه الغلو في الدين، والقول على الله بغير ما أنزل، على كل إنسان أن يتأكد أن ما يقوله من شؤون الدين هو من قول الله وأمره، ما أكثر ما سمعنا هذا القول (النظافة من الإيمان)، وما أكثر ما سمعنا هذا القَوْل (صوموا تصحوا) وقد تبيّن أنها أقوال من الناس وليست أحاديث شريفة، إذًا لا يجوز أن أنشر أقوالاً قبل أن أتأكد من نسبتها للرسول (ﷺ).

اتباع الرسول فرض على الناس جميعًا

ورد في سورة آل عمران آية ٣١ ما يلي: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾[١].

وأما آية ٣٢ من السورة ذاتها فهي قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾[٢].

لا يتم الاعتقاد حتى تؤمنوا بمحمد

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢﴾[٣].

هؤلاء مؤمنون، وأعمالهم حسنة، لا تكفّر سيئاتهم إلا بعد الإيمان برسول الله (ﷺ)، ولا ترتفع درجاتهم إلا بعد إيمانهم بالرسول محمد (ﷺ)، لم تحدد الآية صفات هؤلاء المؤمنين، بل كانت عامة، ولكن إيمانهم لا يعتد به إلا إذا أكملوا ذلك الإيمان بأن اتبعوا خاتم النبيين محمد (ﷺ).

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١.
(٢) سورة آل عمران آية ٣٢.
(٣) سورة آية محمد ٢.

قتال الذين أوتوا الكتاب

سورة التوبة (٢٩) – شرح الصابوني -:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ (٢٩) ﴾[1].

المطلوب كما في هذه الآية عرض الإيمان على أهل الكتاب ليرى المسلمون مدى التزامهم بقول الله، فإن أعلنوا أن لله ولدًا، أو أن المسيح هو الله، أو أنهم لا يحرمون ما حرم الله، ولا يحلون ما أحل الله، أو أنهم يشكون في اليوم الآخر، أو أن دين الله وهو الإسلام مرفوض لديهم فقاتلوهم، إن هذه الحالات بعضها أو كلها تفرض على المسلمين القتال.

---

(١) سورة التوبة الآيتان ٢٨- ٢٩.

سادساً: البرزخ – نعيمه وعذابه

أنكر كثير من الكتاب والمفكرين والصحفيين عذاب القبر، وقد وجدت أن أسلوب هؤلاء يكاد يكون واحدًا تقريبًا، أسلوبهم يقول: إننا نقرأ الآيات التي تتوعد المشركين بالعذاب، فتذكر اليوم الآخر وتذكر النار، كما أنها تعد المؤمنين بالجنات وما فيها من الخيرات، إنها لا تتوعدهم بعذاب القبر ولا تعدهم بنعيم البرزخ، إذًا لا يوجد في البرزخ عذاب ولا نعيم.

وضربوا للبرهنة عل صحة آرائهم عددًا من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾[1].

وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝٣٩﴾[2].

هاتان الآيتان يأتي مثلهما مئات الآيات عن الجنة والنار ولا يأتي شيء عن عذاب البرزخ! إن هؤلاء على شيء من الحق وليس على الحق كله.

آيات البرزخ: هناك في كتاب الله آيات عن البرزخ عذابه ونعيمه، ولكنها أقل بكثير من آيات الجنة ونعيمها وآيات النار وعذابها. وإليك ما يلي:

١. من سورة التوبة، قال ﷻ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۝١٠١﴾[3].

---

(١) سورة الرعد آية ٥.
(٢) سورة الإسراء آية ٣٩.
(٣) سورة التوبة آية ١٠١.

هذه الآية شديدة جدًا على فئة محددة من الناس هؤلاء أظهروا للرسول (ﷺ) أنهم مؤمنون ويتبعونه وهم كاذبون، إنهم المنافقون، لم يعرفهم الرسول (ﷺ) لأن رسولنا لا يعلم من الغيب إلا ما يطلعه عليه جل وعلا، والمنافقون في هذه الآية نوعان: نوع من الأعراب ونوع من أهل المدينة المنورة إن هؤلاء المنافقين أظهروا شيئًا وأخفوا شيئًا، أرادوا أن يخدعوا رسول الله (ﷺ) ويخدعوا المؤمنين، وقد تمكنوا من ذلك، وجاءت الآيات إلى الرسول تفضحهم وتشكف زَيْفَهم، ثم أخبر القرآن المسلمين وغير المسلمين أن هذه الفئة المنافقة ستعذب مرتين قبل يوم القيامة، مرة فوق الأرض على أيدي المسلمين، ومرة تحت الأرض بما شاء تعالى من التعذيب النفسي لهم، ثم يأتي العذاب الدائم الخالد يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

قال الشريف بن عبدالله بن علي الحازمي، قال ابن عباس (رضي الله عنه): (العذاب الأول في الدنيا ليكشف نفاقهم، والعذاب الثاني في قبورهم)، وقد وافق ثلاثة من العلماء هم مجاهد وقتادة ومقاتل بن سليمان على رأي ابن عباس.

٢. قوله ﷻ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾[1].

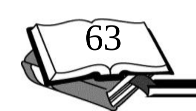
هذه مقابلة المشركين حال وفاتهم يضربونهم على وجوههم ويضربونهم على أدبارهم، إن أهلهم حولهم ولا يشعرون بما تفعله الملائكة بفقيدهم.

٣. سورة الأنفال٥٠، قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾[2].

تبدأ مصيبة الكافرين حال نزاعهم أو قل نزع أرواحهم بشدة، فالضرب من الأمام والخلف والوعيد بعذاب الحريق، إذًا هو ضَرْبٌ يُحسُهُ الكافر في حال نزاعه أو خروج روحه ثم وعيد بما سيلاقيه عند الحساب.

٤. سورة آل عمران ١٦٩-١٧٢ قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ

(١) سورة محمد آية ٢٧.
(٢) سورة الأنفال آية٥٠.



وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[1].

المؤمنون الذين قاتلوا في سبيل الله وقتلوا، ودفناهم ونحن ننظر إلى جثامينهم هامدة جامدة، هؤلاء المؤمنون أحياء، إنّ أي إنسان لا يؤمن بالله سيقول ماتوا وليس فيهم أرواح، هذا شيء مشاهد، ولكن القرآن الذي نزل على رسوله محمد ينبئ عن غير هذا، إن الله (ﷻ) الذي خلق هذا الكون يقدر على كل شيء، ونحن عاجزون عن إدراك قدرته إنه تعالى يخبرنا أنهم أحياء وأنهم يرزقون، بل جاء في آية أخرى ﴿أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[2]، كأنهم ما زالوا يشهدون مكاننا وحالنا ولا نراهم، ولكنهم يعلمون عنا ما نقوم به من خير وعبادة وتقرب إلى الله تعالى، وهذا سر قولهم بما أخبرنا الله (جل وعلا) به وهو: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بل وسر قولهم عن إخوانهم الذين بقوا أحياء ولم يُقتلوا: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾[3]. وهذه بشرى جاء بها القرآن للمؤمنين جميعًا أن لهم أجرًا لا يضيع أبدًا.

ما العذاب المستقر؟

قال تعالى في سورة القمر آية ٣٨.

٥. ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾[4].

قال الشيخ حسنين مخلوف: العذاب المستقر هو العذاب الدائم الذي لا ينفكُ عنهم إلى أن يفضي إلى عذاب الآخرة. (كتاب صفوة البيان).

(١) سورة آل عمران الآيات ١٦٩-١٧٢.
(٢) سورة البقرة من آية١٥٤.
(٣) سورة آل عمران آية ١٧١.
(٤) سورة القمر آية ٣٨.

وقال الشيخان الشوكاني ومحمد سليمان الأشقر في كتاب زبدة التفسير: أتاهم صباحًا عذاب مستقر بهم نازل عليهم لا يفارقهم ولا ينفك عنهم.

هذه الآية ذات الرقم ٣٨: وما قبلها من بضع آيات تتحدث عن عذاب قوم لوط، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾﴾[١] ولقد أنذرهم سبحانه بالعذاب إن أصروا على تكذيب الرسول لوط الذي حمل دينه إلى الأرض المباركة ونجاه الله تعالى من ظلم قومه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾[٢].

إذًا كذبوا الرسول فحل بهم العذاب، العذاب يبدأ من أول يوم في هلاكهم ويستمر العذاب لا يتركهم ولا ينفضّ عنهم إلى يوم القيامة، إن القوم الذين عذبوا بريح عاتية هم قوم عاد، وكان رسول الله الذي جاءهم هود (عليه السلام) ولقد اقتلعتهم الريح كما تقتلع الأشجار عندما تكون عنيفة عنفًا شديدًا، ولقد تطايرت أجسامهم في الفضاء ثم تحطمت على الأرض وأصبحوا كأعجاز نخل خاوية، قال عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾[٣]، ما معنى يوم نحس مستمر؟ لا يخطر ببالي إلا يوم القيامة، فالمعنى إذاً: عذاب شديد ملازم لهم؛ لا ينفك عنهم إلى يوم عذاب مستمر إلى يوم القيامة، لكن ما طبيعة هذا العذاب؟ لا ندري لأن الله تعالى لم يذكر كيفيته في الآية ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾.

وأما قوم لوط فهم الذين عذبوا بريح عاتية، كانت ريحًا محملة بالحجارة مسوّمة، يضرب كل حجر من سُخر له، قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾[٤]. ماذا تعني عبارة (عذاب مستقر)، لا يخطر ببالي كما أفهم من لغتنا العربية إلا أنه عذاب ملازم لهم؛ ولا ينفك عنهم إلى يوم القيامة، هناك

---

(١) سورة القمر آية ٣٣.
(٢) سورة القمر آية ٣٦.
(٣) سورة القمر الآيتان١٨-١٩.
(٤) سورة القمر آية ٣٨.

يأتي من العذاب مالا نعرف عنه إلا القليل.

الكلمتان (مستمر ومستقر) تشيران إلى الدوام وعدم الانتهاء، وهما تتعلقان بعذاب القبر كما ذكرت الآيتان فالعذاب بدأ صباح ذلك اليوم ولا ينتهي إلا عند قيام الساعة.

٦. **وراءهم برزخ**

وجاء في سورة (المؤمنون) آية ١٠٠ قوله ﷻ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[١].

قال الشيخ حسنين مخلوف في كتابه (صفوة البيان): هذا إقناط لهم من الرجعة وتهديد لهم بعذاب القبر إلى يوم البعث.

الآية ١٠٠ بتمامها هي ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[٢].

يقول الشيخان: الشوكاني ومحمد سليمان الأشقر، إن الإنسان يدعو الله تعالى أن يرجع الحياة إليه، لماذا يرجع؟ إنه يَعِد ويتعهد بأنّهُ إذا عاد لحياته العادية فإنه سيعمل صالحًا بأمواله التي تركها، وسوف يحسن التصرف مع زوجه وأولاده ويحثهم على العبادة وطاعة الله، وسوف يحسن التصرف بكل ما ترك وراءه من متاع الدنيا.

- البرزخ-

٧. **آل فرعون وما إدراك ما آل فرعون؟!**

سورة غافر (٤٥-٤٦)، أراد آل فرعون إهلاك بني إسرائيل وموسى (عليه السلام) قال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾ثم جاء العذاب، قال ﷻ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ

(١) سورة المؤمنون من آية ١٠٠.
(٢) سورة المؤمنون آية ١٠٠.



ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[(1)].

وقع فرعون كما في الآية في ثلاث مراحل:

أ- أحاق بهم أولاً سوء العذاب، فقد أغرقوا جميعًا في البحر، ثم انتقلوا لمرحلة أخرى أشد من الأولى وهي:

ب- عرضهم على النار طوال حياتهم في البرزخ، إنهم يرون النار التي سيحشرون فيها صباحًا ومساءً، كيف سيكون حال إنسان يتأكد من مشهد أمامه ويعلم أن هذا المشهد حق وأنه لا يستطيع الحيد عنه؟

ت- ثم يقع المشهد الثالث بأشد صورة وأعنفها، إن هذا الظالم الذي يقول لموسى (عليه الصلاة والسلام) (وهل لكم إله غيري)، إن هذا المدعي سيجد نفسه في أشد العذاب، إذًا عذاب فوق الأرض بالغرق، وعذاب طوال حياته في البرزخ بعرضه على النار صباحًا ومساءً، ثم يردون إلى الله تعالى حتى يكون مصيرهم أشد العذاب.

٨. حبيب النجار

سورة يس ٢٦-٢٧. قوله ﷻ: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾[(2)].

تكلم الرجل وقد ذكروا أنه حبيب بن موسى النجار، وقد ناصر المرسلين من أصحاب المسيح (عليه الصلاة والسلام)، فقد كانوا ثلاثة أرسلهم المسيح (عليه السلام) إلى أنطاكية فكذبهم أهلها، وجاء حبيب مناصرًا قويًا للرسل الثلاثة (عليهم السلام) فقال لقومه في أنطاكية: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾[(3)] وقال لهم: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾[(4)]، فإذا قال ذلك قيل له ادخل الجنة، جاءه خبر السماء وحيًا، ويبدو من أسلوب الآية أنهم قتلوه، فبُشر بعد قتله.

---

(١) سورة غافر الآيتان ٤٥-٤٦.
(٢) سورة يس الآيتان ٢٦-٢٧.
(٣) سورة يس من آية ٢٠.
(٤) سورة يس آية ٢٥.

قال تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾ هذا كلام من البرزخ ليس من الآخرة، لأن الناس في الآخرة يرون كل شيء ويعلمون ما كان خافياً.

٩. **سورة فصلت ٣٠-٣٢**[1] ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾[2].

لقد قلنا ربنا الله وقد سعينا للاستقامة، وإن كان قد وقع منا أخطاء فلم تتنزل علينا الملائكة،لأن النزول يكون عند بدء أمور الآخرة فتتنزل الملائكة وتبشرنا لأننا مؤمنون موحدون، وقد قلنا ربنا الله ثم استقمنا على ما جاء به خاتم النبيين، تبشرنا بأن تطمئن طمأنينة تامة، تقول لا تخافوا مما هو قادم ولا تحزنوا على ما تركتموه وراءكم من بنين وأقارب وأهل وأموال، وتقول هذه لحظة طمأنينة لكم.

---

(١) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ سورة فصلت آيات ٣٠-٣٢.

(٢) سورة فصلت آية ٣٠.



سابعاً

نقاط لغوية ذات أثر بعيد

أرجو أن يعلم القارئ الطيب أني لا أقصد بذلك أن نفتح القاموس فنبحث عن معان غامضة مثل (ادّارك) أو (الشّطء)، أو الفرق بين كلمتي ذكي وزكي، أو الفرق بين الذكاة والزكاة، وأرجو أن لا يعلم أو حتى يظن بأني سأضع بين يديه بيتًا من الشعر ليعرف معناه أو جماله، لا أريده أن يذهب إلى ذلك، إذا فما هذه النقاط اللغوية ذات الأثر البعيد؟

النقاط هي:

أ. **الأصل في أكثر الألفاظ العربية هو الأصل المادي:**

نقول مثلاً: رئيس الدولة، كلمة رئيس أصلها مادي هو الرأس.

ونقول: ائذن لي، الكلمات أَذِن يأذن استأذن أصلها مادي هو الأذن، وأحاط بالأمر، والقاموس المحيط، ولا يحيطون بشيء من علمه، أصلها من الحائط وهكذا كثير في لغتنا أصلها مادي.

«غفر ويغفر والمغفر والغفير»، كلها تعني ستر أو يستر أو الذي يستر الذنوب، ويعجبني أن يكون اسم الشرطي (الغفير) لأنه أصلاً وجد ليستر ذنب الناس، وربما يغير الشرطي هذا المعنى كما نرى في عصرنا الحاضر، فالذي يذهب للمغفر يشعر أنه افتضح أمره. ومن أشهر هذه الأصول كلمة مذنب، وقد أخذت من كلمة (الذَّنَب)، فهذا العضو في الحيوان يتعلق بالأوساخ والعَفن.

ب. الحذف في اللغة من شجاعة العربية

الحذف ظاهرة عامة في لغتنا، ويقع الذي لا يدرك ظاهرة الحذف في ارتباك عند شرح بعض الآيات القرآنية، والحذف له أسبابه العديدة منها التكرار، فالعربية تستعمل الحذف عندما يكون الكلام واضحًا فلا يلزم تكرار كل كلمة، بل تحذف بعض الكلمات لإدراك القارئ لها بسهولة.

١. في سورة يوسف: يقول تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾[١].

وبعد هذه الآية مباشرة يقول سبحانه: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا﴾، يدرك قارئ القرآن هنا أنهم (اتفقوا مع من قال لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب) ولذلك لم يُعد القرآن الجملة لأنها معروفة في الذهن، ولما بدؤوا بالقائه وصف تعالى هذه الحالة بقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾[٢] هنا حذف كثير ولكنه مفهوم ضمنًا حذف هنا: ذهبوا به من عند والده، وأجمعوا تعني اتفقوا على رأي واحد في نهاية مناقشاتهم ولم يذكر القرآن ما الذي قاله كل منهم، ولكنا نعلم أنهم نزعوا قميصه وغرقوه بدم حيوان ما، ثم دلوه في البئر وهو يقول لهم لماذا تصنعون هذا بأخيكم وماذا ستقولون لأبيكم وسوف أنبئكم يومًا ما بهذا الذي تصنعونه بي...

القرآن الكريم طافح بمثل هذا الحذف

٢. الحذف في ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾[٣].

---

(١) سورة يوسف آية ١٠.
(٢) سورة يوسف آية ١٥.
(٣) سورة الشورى من آية ١٧.



قال تعالى في سورة الأعراف آية ٥٦: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[(١)]، أنّث كلمة قريب ونحن نظن أن الرحمة مؤنث فجوابها يكون مؤنثًا أي (قريبة) فلماذا جاءت هكذا (قريب)؟

وقال ﷻ في سورة الشورى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ ؟[(٢)]، نحن نقول الساعة صالحة، أي نؤنث خبر الساعة، ولكن في الآية غير ذلك.

وقال ﷻ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾[(٣)]، فالآيات لا تستعملها إلا بالمذكر مما نظنه نحن أنه مؤنث ما سر ذلك؟ الجواب لدي أن ظنوننا خاطئة وأن هذا حذف. فما هو هذا الحذف؟

الساعة هي القيامة وهي القارعة وهي الحاقة وهي اليوم الآخر، إذًا القيامة ليس لها علاقة بالقرب أو البعد، وإنما وقت مجيئها قريب، وقد حذفت كلمة الوقت وهي مذكرة، فقال تعالى: ﴿ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ هنا حذف، فالجملة الساعة وقتها قريب، القيامة وقتها قريب، اليوم الآخر وقته قريب، فجاءت الصفة وهي قريب لاسم محذوف مقدر في العقل هو الوقت.

٣. الحذف في ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ ﴾[(٤)].

قال ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾[(٥)].

سأل أحدهم عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) هذا السؤال وهو هل المعنى أن المعتمر إذا لم يطف هو أو الحاج بالصفا والمروة فلا جناح عليه؟

---

(١) سورة الأعراف من آية ٥٦.
(٢) سورة الشورى من آية ١٧.
(٣) سورة الأحزاب من آية ٦٣.
(٤) سورة البقرة من آية ١٥٨.
(٥) سورة البقرة آية ١٥٨.

قالت لا يا ابن أختي لو كان كما تقول لأضيف للعبارة القرآنية (ألا يطوف بهما) فتصبح الآية كما يلي (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه (ألا يطوف بهما) وهي ليست كذلك.

أما سبب سؤال الرجل عن ذلك هو أنّ الأنصار كانوا يرون أن الصفا والمروة صنمان، ولذلك يتجنبون الطواف بهما فلما نزلت الآية الكريمة علموا أن الصفا والمروة من شعائر الله ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب، وليس لهما علاقة بالأصنام أو الأوثان.

إذًا حذف الحرف (لا) هو الذي جاء بمعنى يخالف المعنى الذي تتطلبه الآية، ومثل آية الصفا والمروة الآية التالية ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾[1] فلقد جاء في الآية أن رسول الله (ﷺ) يدعو الله (جل وعلا) أن يحكم بالحق! كيف يطلب الرسول من ربه تعالى أن يحكم بالحق، وهل هناك من يتوقع أن لا يحكم الله وهو الحق بغير الحق، إنك تقول لشخص مثلك وبرجاء واضح أرجوك يا أخي أن تحكم بالحق، وربما يغضب الشخص إذا قلت له احكم بالحق، فإنه يفهم أنك لا تثق بحكمه، إذًا كيف يطلب الرسول الحكم بالحق من ربه وهو الحق (جل وعلا)!

الرد على ذلك بسيط وهو وارد في ألفاظ الآية، وذلك في قول الرسول لهم: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ١١٠﴾[2] وقوله (ﷺ): ﴿لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ﴾[3]. وقوله (ﷺ) كما في الآية: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[4].

فالرسول متأكد أنه على الحق، وهم كارهون للحق الذي عليه ويظنون أنهم وآباءهم وأجدادهم على الحق، ويتهمون الرسول بأنه يكذب وسوف ينكشف كذبه، فلذلك يقول الرسول: (ربنا احكم بيني وبين هؤلاء الذين يرون أنهم على

---

(١) سورة الأنبياء آية ١١٢.
(٢) سورة الأنبياء آية١١٠.
(٣) سورة الأنبياء آية١١١.
(٤) سورة يوسف من آية ١٨.

حق ويرون أني على باطل ربنا احكم بالحق الذي عندك ليعرفوا باطلهم).

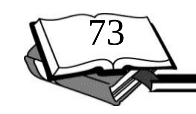
فئتان خصمان كل منهما يطالب بالحق وكفر أولئك سيظهر ثم يُدمرون.

٤. **الحذف في خبر إنّ في قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ ﴾[١].

لم نعرف شيئًا عن الذين كفروا بالذكر، هنا يوجد حذف، وهذا المحذوف هو الذي يوفي المعنى، لكن الآية السابقة تدل على الشيء المحذوف، أي أن القرآن فيه آيات سابقة تدل على هذا الشيء المحذوف، فلا بد من تلاوة الآية (٤٠) يقول ﷻ في الآية ٤٠: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾[٢] فالعبارة المحذوفة إذًا من الآية (٤١) هي العبارة: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾، إن استعمال عُقولنا لفهم الآيات مطلوب جدًا، وعندما نفكر ونحصل على العبارة المحذوفة ونجد المعنى متكاملاً يكون ذلك خيرًا لنا، وعند تلاوتنا لكتاب الله (ﷻ)، نجد أن الله تعالى يأمرنا بتدبر القرآن، كُلٌ وطاقته؛ يقول سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[٣].

---

(١) سورة فصلت آية ٤١.
(٢) سورة فصلت من آية ٤٠.
(٣) سورة محمد آية ٢٤.



ت. كلمات تتحمل معاني متعددة.

هذه الكلمات تؤثر في معاني الجمل القرآنية تأثيرًا مذهلاً.
وأذكر الآن منها ثلاث كلمات: راعنا، ومنعك، نعمة الله.

١. **راعنا:** قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾﴾[1].

لماذا أمر الله تعالى استبدال لفظ بلفظ، إن المعاني في كلمة (راعنا) هي السبب، فالكلمة تتحمل معنيين هما: المراعاة أي المساعدة والرعاية والمحافظة، والمعنى الثاني هو: الشتم والسب والإيذاء في لغة اليهود، كان المسلمون ينطقون (راعنا) في مناسبة المعنى الصالح أي المراقبة والعناية، وكان اليهود يخبئون نواياهم باستعمال هذه الكلمة، وكأنهم يقولون الحق، ولكن الله تعالى لا تخفى عليه النية، فهو يعلم السر وأخفى، ولذلك أمر سبحانه المؤمنين أن يقولوا (انظرنا) بدل أن يقولوا (راعنا).

ملاحظة: لم يكن الشيخ محمد الصابوني دقيقًا عندما قال في معناها (انظرنا تعني انتظرنا وارتقبنا) في كتابه صفوة التفاسير، لأنها في هذا السياق تعني احفظنا وارأف بنا.

إن كلمة (ناظر) الآن واسعة الانتشار في السياسة والتعليم، فهي في السياسة في بعض البلدان العربية تعني وزير الخارجية، وتعني في بلدان عربية أخرى مدير المدرسة. وهي بنفس المعنى أي الاهتمام بالشأن، والحفاظ عليه ورعايته.

٢. منع -نقطة مهمة

وردت هذه الكلمة مرتين ضد موقف إبليس وعدم طاعته لأمر الله، قال سبحانه: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٤.

﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾[2]. لماذا جاءت مرة (أن تسجد) ومرة أخرى (أن لا تسجد)؟

إذا فسرت كلمة (منع) في الآيتيْن بمعنى واحد فإنك لن تصل إلى معنى محدد في الآيتين وتحس أن المعنى غريب جدًا وغير مقبول كما ورد في عدة كتب للتفسير المعروفة.

ولا كما ورد في أجهزة الموبايل من تفسير للآيتين ولا ما في (غوغل) أو واتساب أو أمثالها، إن التفاسير التي اطلعت عليها في هذه الأجهزة التي يسمونها أحيانًا التواصل الإجتماعي أو في كتب التفسير لا توصل لمعنى جيد وحقيقي.

كلمة (منع) فيها السر والإشكال، هذه الكلمة لها معنيان، هما (منع) بمعنى حجز، ومنع بمعنى (أعطى القوة أو ما يسمى المناعة).

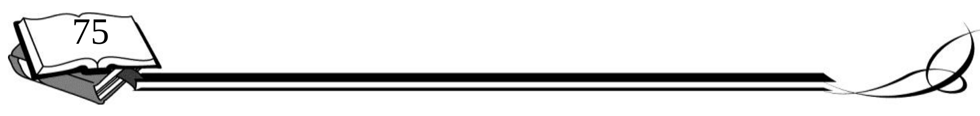
إذًا ضع كلمة منع مع الآية التي فيها النفي وهي من سورة الأعراف وهي قوله ﷻ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾ أي من أعطاك المنعة حتى لا تسجد، وضع المعنى الآخر، وهو حجز مع العبارة القرآنية ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾ فيصبح المعنى: من حجزك عن السجود؟ هكذا نفهم المعنيين للآيتين في سورة الأعراف وفي سورة ص.

الآيتان في كتب التفسير؟

لقد ورد تفسير ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾[3]، ورد دون الالتفات إلى أن هناك آية آخرى بـ(أن لا تسجد).

---

(١) سورة ص آيتان٧٥-٧٦.
(٢) سورة الأعراف آية ١٢.
(٣) سورة ص آيتان٧٥.



جاء الشرحُ بهذه الصورة: ما صرفك وصدك عن السجود لآدم وأنا الذي توليت خلقه بيدي من غير واسطة.

وورد تفسير ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾؟[(١)] بهذه الصورة؛ دون الالتفات إلى (ان تسجد).

قالوا السؤال لإقامة الحجة والتقريع والتوبيخ وإلا فهو سبحانه عالم بذلك!

لقد جاء التفسير مبهمًا لأنه لم يعتمد على التفريق بين المعنيَيْن لكلمة منع، وجاء التفسيران من دون أي اعتبار لدخول (لا) أو كأنها غير موجودة.

وقد وجدت شروح هاتين الآيتين متكلفًا جدًا، ومبهمًا جدًا، ولم تراع تلك الشروح دخول الحرف (لا) أو حذف الحرف (لا).

٣. **نعمة:** ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[(٢)]!

سورة إبراهيم آية ٣٤، هل النعمة الواحدة فيها عدد؟

قال ﷻ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾[(٣)].

إذا كانت النعمة واحدة فهي لا تحتاج إلى عدٍّ أو إحصاء، لأن العد أو الإحصاء يكون في الكثير، تقول: هذا كتاب وهذان كتابان وهذه كتب، وكذلك وجدت كلمة (نِعمة) مثناة ومجموعة في القرآن وفي الحديث، فقد جاءت في سورة النحل بصورة الجمع، إذ قال الله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرْيَةٗ كَانَتْ ءَامِنَةٗ مُّطْمَئِنَّةٗ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾[(٤)]، وقال تعالى في سورة النحل أيضًا: ﴿شَاكِرٗا لِّأَنْعُمِهِ﴾[(٥)]، وجاء في الحديث

(١) سورة الأعراف آية ١٢.
(٢) سورة إبراهيم من آية ٣٤.
(٣) سورة إبراهيم آية ٣٤.
(٤) سورة النحل من آية ١١٣.
(٥) سورة النحل من آية ١٢١.

الشريف: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» إذًا ماذا نعني بهذه العبارة القرآنية ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1]؟

غلب على الظن أن هذه الكلمة هي (مصدر)، والمصدر كما هو معلوم في لغتنا يدل على الإفراد والتثنية والجمع، فإن قلت: عندي اطّلاع على هذا الأمر فإنك تعني أنّ لك عدة نظرات في هذا الأمر من كل جوانبه وقد قرئت كلمة (نِعْمَةً) في القرآن بكلمة (نِعَمَهُ)، قرؤوا (وأسبغ عليكم (نِعمَهُ)» وهذا يدل على أن (نِعْمَةً) تنوب عن نِعَم لأنها مصدر، والمصدر ينوب عن الأفراد والتثنية والجمع. ويقول قاموس لسان العرب لابن منظور (وقوله ﷻ: وأما بنعمة ربك فحدّث) تعني: (وأما بإنعام ربك فحدث)، وذلك كما تقول: أنفقت إنفاقًا أو نفقةً، فهي مصدر والمصدر يقبل الأفراد ويقبل الجمع.

ويقول القاموس أيضًا: لقد قرأ بعض القراء: (إن الفلك تجري بنعمات الله) بدلاً من (إن الفلك تجري بنعمة الله) فالمصدر ينوب عن الجمع.

ملاحظة: في المبالغة:

لا يجوز للصابوني أن يقول في شرح الآية (١٨٠) من سورة آل عمران (لما بالغ تعالى في التحريض على بذل النفس في الجهاد شرع هنا في التحريض على بذل المال)، لا يجوز له أن يقول بالغ تعالى لأن المبالغة هي زيادة في الشيء، وإنما هي عند المولى عمل عادي وشأن حق، ولا يجوز أن نقول: (إن الله تعالى بالغ، لا يجوز للصابوني ولا لغيره، ولا يجوز للصابوني أن يقول في قوله تعالى: «و﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾[2]، لا يجوز أن يقول: «والله أنزلنا إليكم» لأن هذا المقام مقام تحقيق وتوكيد وليس موضع قَسَم فاللام وقد هنا للتوكيد وليس للقسم، فقد وردت (لقد) في القرآن كله لتفيد التأكيد.

كلمات نادرة الآفاق

وذلك مثل نُنْسِها، نَنْسخ، نَسْتَبدل

ينكر بعض المثقفين وجود استبدال آية بآية في القرآن الكريم، وينكرون

(١) سورة إبراهيم من آية ٣٤.
(٢) سورة النور من آية ٣٤.



نسخ آية بآية في القرآن الكريم، يقولون: إن الله تعالى نزل آية وهي حكمه في العالمين، فكيف يبدلها أو ينسخها ثم يضع بدلها؟ وربما يكون اعتراضهم على ذلك عن حسن نية وربما يكون عن سوء نية؛ لأن قلوب بعض الناس مريضة، ولسنا بصدد التمييز بين هؤلاء وهؤلاء، ولكن لدينا نقطتان تتعلقان بالموضوع، ولابد من ذكرهما لأنهما هما الإجابة الصحيحة.

النقطتان هما: النسخ، ونكران النسخ والإنساء

أولاً: إن الله تعالى ينزل الذكر على المسلمين وهم بشر ممن خلق ولهم صفات بشرية، فإذا أنزل شيئًا ثم نسخه أو بدله أو أنساه فإنه يعالج بما أنزل مشكلة بين هؤلاء الناس، وإنه لا يفجؤهم بشيء ألفوه هم وأباؤهم وأجدادهم لمئات السنين، فهو تعالى يهيئ للحل الأخير، ةلذلك يحل آنياً المشكلة التي هم فيها، ثم ينزل الحكم الأخير، وعلينا أن نعلم أن هذه الأحكام وما بدل منها كان جميعه في المدينة المنورة التي عاش الرسول (ﷺ) فيها ١٠ سنوات فقط، ولذلك كانت الفترة بين حكمين أقل من ١٠ سنوات أو تسع أو ثمان أو سبع أو...أو... سنة واحدة. والحكم الثاني يلغي الأول الذي ذكرنا مدته ثم يستقر الثاني إلى يوم القيامة.

ثانيًا: ليس لنا الحق في نكران الاستبدال أو النسخ أو الإنساء عندما نعلم أن هناك آيات نزلت في هذه الثلاثة المذكورة.

أ. **قال** ﷻ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾[١].

ب. **قال** ﷻ **في النسخ:** ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾[٢].

سأذكر هذا المثل الذي لا يستطيع أحد أن يعارض فيه أو يرفضه، إن اتجاه المسلمين إلى الكعبة في الصلاة جاء بعد اتجاههم إلى بيت المقدس مدة ١٧

---

(١) سورة النحل آية ١٠١.
(٢) سورة البقرة آية ١٠٦.

شهرًا وهم في المدينة المنورة، أي صلوا وهم في المدينة تجاه المسجد الأقصى، ثم نزلت آية تأمرهم بتغيير اتجاههم شطر المسجد الحرام في مكة المكرمة.

قال تعالى في ذلك: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾[1].

وقد تركوا قبلة بيت المقدس، وأمر المسلمون أن يولوا وجوههم تجاه الكعبة مدى الحياة.

ت. الإنساء، والنسيان.

يعني ذلك أن أي إنسان يحفظ شيئًا، ثم نسي ما حفظ يعني أنه لا يجد ما حفظ، وربما يتذكر الإنسان شيئًا مما كان يحفظ، لكنّ الله تعالى في موضوع الإنساء يمحو من ذهن الرسول (ﷺ) ما حفظ، ثم ينزّل شيئاً جديداً بدل الذي محاه، ثم يمحو الله تعالى الآية من نفوس الذين استمعوها.

إن الآية التالية التي ذكرت في النسخ هي نفسها التي ذُكرتْ في الإنساء للدلالة على أن النسخ شيء والإنساء شيء آخر، لقد ذكرتْ الموضوعين معًا.

أكرر قوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[2].

قال الشيخان الشوكاني والأشقر في (زبدة التفسير): «أي ننسيكم إياها حتى لا تُقرأ أو لا تذكر».

إذًا نسيان الشيء الذي تذكره الآية: هو محو تلك الآية من القلوب، وهنا نتساءل عن قيمة ما ذكره بعضهم أن القرآن الكريم كان فيه آية تتحدث عن الحرص وطول الأمل ثم أُنسيت ولكنّ الصحابة تذكروا جزءًا منها! هذه الآية هي (يشيب ابن آدم وتشِبُّ معه خصلتان: الحرص وطول الأمل)، كما يتحدثون عن آية أخرى مثل ذلك وهي: (لو كان لابن آدم واديان لتمنى أن يكون له ثالث

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٢.

(٢) سورة البقرة آية ١٠٦.

لينفق منه)، كما يتحدثون عن سورة بكاملها حذف منها آيات عديدة، يظنون أو يقولون كانت ضعف ما هي عليه الآن! يزعمون أنها سورة الأحزاب.

لقد نسي من زعم ذلك أن الأسلوب القرآني لا يماثله أسلوب، وأن هذه العبارات التي ذكروها ما هي إلا أوهامٌ عندهم، تجاوزوا فقالوا إنها آيات بقيت وهي سخيفة المبنى ضعيفة التركيب فاقدة للعمران القرآني، قالوا وليتهم التزموا المنطق والفكر السليم وما قالوا، لقد نسوا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1] لقد حفظه الله (جل وعلا) كلمة كلمة، وجعل تركيبه معجزًا، وجعله مرجع العالمين الوحيد إلى يوم القيامة ولن يغير ولن يباريه أحد.

٥ . هداية الأموات؟

قال ﷻ في سورة محمد: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾[2].

كيف يهديهم وهم أموات؟ وكيف يصلح بالهم وهم أموات؟ هل هذا في البرزخ؟ ليس لديّ إلا إجابة واحدة، نعم إنها في عالم البرزخ، والآية التي تلي الرابعة والخامسة هي قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾[3]، إذًا الهداية لهم في البرزخ ستكون بحمد الله وشكره، وسيكونون سعداء، وقد ذكرت الأحاديث الشريفة أنهم سيرون من النعيم ما لم يخطر ببالهم.

٦ . لا عذاب قبل الحساب

وقد انتشر بين المسلمين رأي يذهب إلى أنّ الله تعالى لا يعذب أحدًا قبل الحساب! وربما كان وراء هذا الرأي أحد علمائنا الأبرار، ولكنه وقع في الخطأ، وكلنا معرضون للخطأ، والواجب علينا أن نقرأ ونحن مستيقظون،

---

(١) سورة الحجر آية ٩.
(٢) سورة محمد آية ٤-٥.
(٣) سورة محمد آية ٦.

واعون لما نقرأ، وكل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.

قال ﷻ يصف ما يقع على العُتاة والظّلمة من العذاب في الحياة الدنيا بسبب ظلمهم وعتوهم قال: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾[2].

(١) سورة الزمر آية ٢٦.
(٢) سورة البقرة آية ١١٤.

ث. كلمات تتعلق بالعقيدة مباشرةً

١. هل للكفر برهان؟

لا. ليس له إن هذا من عظمة الخالق وكبريائه، لقد أقفل أبواب الكفر كافة، لم يجعل لأي إنسان في الأرض بابًا يدخل فيه للكفر، قال ﷻ: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾(١).

ربما يجد القارئ المتعجل في تلاوته للآية التالية شكًّا وهي قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾(٢).

يظن أن هناك برهانًا في إله آخر، وهذا سببه الجملة المعترضة أي ذات الكلمات ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾، وفَهْم ذلك يعتمد على معرفة الجملة الأصلية وهي مؤلفة من شرط وجواب: ﴿وَمَن يَدْعُ﴾ هو الشرط، وأما الجواب فهو ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾، إذًا العبارة التي توسطت بين الشرط والجواب عبارة إضافية يقصد بها المزيد من التفسير، وهي تُضيف إلى الجملة المعنى المهم وهو: لا برهان له، أي أن الذي يكفر جزاؤه عند ربه لأنه يقول بشيء لا برهان له فيه.

٢. من الصادقون؟ من المفلحون؟

أشارت كلمة (الصادقون) إلى المهاجرين، وأشارت كلمة (المفلحون إلى الأنصار) قال ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾(٣) وفي الآية

---

(١) سورة النمل من آية ٦٤.
(٢) سورة المؤمنون من آية ١١٧.
(٣) سورة الحشر آية ٨.

التالية من سورة الحشر أيضًا يقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾[1].

قال أبو بكر في السقيفة عند وفاة رسول الله (ﷺ) لقد سمّانا الله - أيها الأنصار- الصادقين وسماكم المفلحين، وأمركم أن تكونوا مع الصادقين، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[2].

فلا تكونوا أول من آزر ونصر ثم تكونوا أو من فرّق وأدبر.

٣. هل الله يبالغ؟

لا. إنه لا يبالغ يقول بعض المفسرين، حكيم صفة مبالغة في حكمة الله، ويقولون (عليم) صفة مبالغة في علم الله، إن كلمة مبالغة تصلح لأن تصف حكم الناس أو علم الناس، لأنه لابد أن يصدر عن الناس زيادات في الوصف، وأما قوله تعالى فهو حق لأن الله تعالى هو الحق.

يقول الشيخ محمد علي الصابوني في صفوة التفاسير: (إن كلمة عليم صفة مبالغة). وهذا قول مرفوض، لماذا: لأن كلمة مبالغة أو بالغ أو يبالغ تعني في لغتنا: أنه قال أكثر من الوصف الحق، ولذلك لا يجوز أن نقول إن صفة حكيم تعني المبالغة في حكمة الله، فإن حكمة الله (ﷻ) لا يفوتها شيء، وإن رحمته وسعت كل شيء. قال الشيخ الصابوني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾[3]، قال (إنها مبالغة في قبول التوبة) ج٢ ص٦٦، كيف ذلك؟

---

(١) سورة الحشر آية ٩.
(٢) سورة التوبة آية ١١٩.
(٣) سورة النساء من آية ١٦.

إن الله (ﷻ) يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١) فكيف نجعل صفة لله مبالغة؟

وقد وجدت أن الشيخ الصابوني يشير أيضًا إلى كلمة سمّاع وهي من صفات المبالغة عندما تتعلق بالإنسان، وجدته يقول في ج١ ص٣٤٤ هم (مبالغون في سماع الأكاذيب وهم مبالغون في قبول كلام قوم آخرين)، قال ذلك وهو يفسر الآية ٤١ من سورة المائدة: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ﴾، انظر كيف تناول صيغة المبالغة وهي تصف قومًا ممن سمعوا الأكاذيب، وممن قبلوا كلام قوم آخرين دون أن يتحققوا من أقوالهم؛ إنه الآن يتكلم بوضوح ودقة في صيغ المبالغة عن الناس، ولكن ما ينطبق ويقع على المخلوق لا يجوز أن يطبّق على الخالق.

(١) سورة النساء من آية ٤٨.

ثامنًا

حَوْلَهُ: ما حدود الأرض المباركة؟

لقد سمعت هذا السؤال عشرات المرات، وهو: «أسرى الله تعالى بالرسول من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله» فإلى أي مدى تمتد هذه الأرض المباركة؟ هل هي ما يحيط بالمسجد فتنتهي عند رام الله شمالاً وعند أريحا شرقًا وتنتهي عند اللّد غربًا وعند بيت لحم جنوبًا. أم هي تمتد إلى نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط وسيناء وسلسلة جبال طوروس؟ هذا السؤال أشغل أصدقائي كما أشغلني. كل منا يحب أن يكون في الأرض المباركة.

إن بعضهم يرى أن كلمة حوله تشبه ما نقوله عن قطعة أرض، فالذي يكون حولها هو قطع الأرض المجاورة، وعندما نقول هذه الدار لفلان فإن ما حولها هو بيت فلان من الشرق وبيت فلان من الغرب، وبيت فلان من الشمال وبيت فلان من الجنوب، وإذا عدنا إلى التفاسير لنرى ما يقوله الطبري أو النسفي أو الشوكاني أو محمد فضل الله أو غيرهم نجدهم لم يدققوا في هذه الكلمة ولم يعطوها حقها، وأنا أعذرهم في ذلك لأن الذي يتناول تفسير أكثر من ستة آلاف آية في القرآن لا يستطيع أن يتوسع في كل كلمة شرحًا وتفصيلاً؛ ولذلك لم تأخذ كلمة (حوله) منهم اهتمامًا يذكر.

كيف أعلم ما تعني كلمة (حوله)؟ وما المساحة التي تتسع لها؟

لقد وجدت عدة آيات في كتاب الله (تذكر) كلمة (حوله) أو معانيها وهي تفيد في معرفة المكان الذي نسكنه وما نجد فيه من البركة في الماء والهواء والأرض والثمر والإنسان، إن الذي يسكن الأرض المباركة يجد خيرًا من خَيْرها، وطيبًا من طيبها، إن البحث له قيمة في هذه الكلمات أو أمثالها.

الأدلة القرآنية عن كلمة حول:

١. **سليمان** (عليه السلام) **والريح:** سورة الأنبياء ٨١ قوله ﷻ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً

﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ٨١﴾(١).

فالرياح التي تهب تملأ منطقة واسعة. فهي ليست تأتي إلى بيت المقدس الذي حدد بـ(١٤٤) دونم أي ١٤٤ ألف متر مربع وتقف ساكنة جامدة، إنها تنتشر كثيرًا، ولذلك إذا وصلت إلى الأرض المباركة وهي التي تحيط (ببيت المقدس) فإنها تشمل أرضًا واسعة حتمًا.

وقال ابن كثير إن الله تعالى في هذه الآية يذكر النعم والغبطة والعيش الرغيد والأماكن الآمنة مع كثرة أشجارها وثمارها وزروعها.

٢. **اليهود وبيت المقدس:** سورة الأعراف آية ١٣٧ قوله ﷻ: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾(٢).

لم ترد كلمة مشارق ومغارب إلا وتعني الاتساع، قال ﷻ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥﴾(٣).

٣. **المشارق والمغارب وقال** ﷻ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ١٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨﴾(٥).

نستطيع أَنْ نقرن بين هذه الاستعمالات للمشرق والمغرب والمشارق والمغارب والمشرقين والمغربين لنعرف أن المدى واسع جدًا. فلا يجوز أن نحدد من عندنا المسافة التي حول المسجد الأقصى، فقد وردت حدود هذه الأرض موسعة جدًا. فالأرض ذات المشارق والمغارب واسعة ولابد أن يحس

---

(١) سورة الأنبياء آية ٨١.
(٢) سورة الأعراف آية ١٣٧.
(٣) سورة الصافات آية ٥.
(٤) سورة المعارج آية ٤٠.
(٥) سورة الرحمن الآيتان ١٦-١٧.

الناس بابتعاد بعضها عن بعض، فالمشارق متعددة بتعدد ظهور الشمس أي إشراقها، والمغارب متعددة بتعدد أماكن الغروب، وبين مواضع الشروق في الأشهر مسافات مما يدل على اتساع كلمة حوله، وبين مواضع الغروب في الأشهر مسافات أيضًا، وهذا يدل بدوره على اتساع كلمة حوله.

٤. **وفي سورة الأنبياء ٧١ (خروج إبراهيم للأرض المباركة للعالمين)**.

قال ﷻ: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[١].

يقول محمد سليمان الأشقر في كتابه (زبدة التفسير من فتح القدير): (نجى الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) ولوطًا ابن أخته من أرض العراق إلى أرض بيت المقدس التي باركها الله بكثرة خصبها وأثمارها وأنهارها وجعلها معادن الأنبياء، فقد بعث الله تعالى أكثر الأنبياء منها).

ماذا نقول في هذه العبارة التي وردت في الآية ﴿ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾، ما جُمعت كلمة (العالمين) إلا لتدل على السعة والاتساع، فإن العالمين شعوب كثيرة ستؤم هذه الديار فهي تتسع لهذه الشعوب، والله تعالى لا يضيّق على الناس بل يوسع عليهم، وليس لي من بُد أن أقول إن الرأي الذي ذهب إلى أن بلاد الشام هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾[٢] قول صحيح، وهو اجتهاد موفق، وقد كانت بلاد الشام تضم سوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن، ونحن نشعر بهذه المباركة في مياهها وثمارها وجوها وغيثها وتربتها، وأريد أن أستزيد في التفاؤل وأقول: وتظهر البركة أيضًا في الناس الذين فيها.

هذا هو المسجد الأقصى الذي باركنا حوله، إنه الآن أسير، ولكن سورة الإسراء بَشّرت بالنصر القادم، ثم عودته لأهله، والآيات تشير إلى أن هذا الأمر قريب.

---

(١) سورة الأنبياء آية ٧١.
(٢) سورة سبأ من آية ١٨.

٥. **أهل سبأ**. وفي سورة سبأ ١٨ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾[١].

انظر إلى (القرى) التي بارك الله فيها، فليست هي قرية واحدة إنها قرى كثيرة، ولم تحدد الآية عددها، قال الشوكاني (القرى التي باركنا فيها هي قرى بلاد الشام وهي قرى كثيرة ينيخون فيها لبيع السلع التي جاؤوا بها من منطقة مأرب إلى قرى الشام) والرأي أنها قرى عديدة؛ لأنها تستوعب تجارة اليمن، وتدر عليهم بالأرباح. وقال الشيخ حسنين مخلوف في تفسيره (صفوة البيان) المقصود في هذه الآية قرى بلاد الشام.

إذًا ما حول بيت المقدس كما نفهم من هذه الآية الكريمة قرى مباركة، وقالوا في تفسيرها هي قرى بلاد الشام، فالأرض المباركة ليست بلدة واحدة أو بلدتين، هذه قرى مباركة.

لا أستطيع أن أقول هذه خمس قرى أو ست قرى، فلم تكن تجارتهم من اليمن وما فيها من خيرات وأراضي واسعة وقبائل عديدة لتعتمد على بضع قرى. كانت قرى كثيرة وعامرة، كانت كذلك لتستوعب أطعمة ومتاعًا كثيرًا، والذي يدل على كثرة هذه القرى أن سكان مناطق سد مأرب لما ظلموا وقالوا كما في كتاب الله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾[٢]. إن سكان هذه المناطق عندما مزقوا وتشتتوا وجدناهم يلجؤون إلى عدة بلدان ليستوطنوا فيها. فأقامت الأوس والخزرج في يثرب، وقد اتعظت هاتان القبيلتان بما جرى لهما، فلما جاء رسول الله (ﷺ) مهاجرًا إلى المدينة أي إلى يثرب، آووه ونصروه وآزروه، وسُموا في القرآن الكريم (الأنصار)، ورحلت قبيلة غسان إلى الشام. ولكن هؤلاء لم يحسنوا التصرف عندما جاءهم الإسلام يدعوهم لاعتناقه، وسكنت قبيلة الأزد بعُمان، وسكنت قبيلة خزاعة بتهامة، وهؤلاء تحالفوا مع

---

(١) سورة سبأ آية ١٨.
(٢) سورة سبأ ١٩.



رسول الله (ﷺ) بعد عهد الحديبية وقد نصرهم رسول الله (ﷺ) ووفى بعهده لما اعتدت عليهم قبيلة بني بكر، إن هذا يدل على كثرة القرى التي كانت تستوعب التجارة مع هذه القبائل الكثيرة.

الخلاصة: إن الآيات الخمس التي ذكرت عن هذه القرى والبلاد التي حول بيت المقدس تدل على اتساع المناطق التي تحيط ببيت المقدس، والذين قالوا إن الآيات تشمل قرى وبلدات الشام، فهي تضم الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان، فالصفات التي ذكرت في الآيات الخمس وهي: شمول الريح لبلاد عديدة، وتجارات اليمن الآتية من بلدان عديدة سوف تباع في مناطق واسعة، والأرض المباركة للعالمين هي واسعة أيضًا، وذكر بني إسرائيل عند انتقالهم للأرض المباركة التي وصفت (بمشارق الأرض ومغاربها) تدل على الاتساع أيضًا. إن أقل شيء يقال إنها بلاد الشام.

تاسعاً.. المسلم والنار

هل يدخل المسلم النار؟

لا. ولو كان عليه ذنوب؛ وذلك بإذنه تعالى.

البشرى إثر البشرى من القرآن والحديث

آيات القرآن الكريم المتعددة جاءت بالبشريات، الواحدة تلو الأخرى تبشر المسلم بدخول الجنة، والأحاديث الشريفة مثل ذلك، وإليك الآيات والأحاديث، وعلينا أن نفهمها بلفظها ومعناها حتى نعلم أن الله (جل وعلا) أكرم هذه الأمة إكرامًا لا مثيل له.

الآيات:

١. **أرجى آية:**

المسلمون هم الذين قالوا هذه أرجى آية، لأنهم فهموا بشراها القيمة من لفظها ومعناها، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ٣٠﴾[1].

قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال رسول الله (ﷺ): (ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله تعالى أكرم من أن يثني العقوبة عليكم في الآخرة، وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فإنّه سبحانه أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه). [ورد ذلك في مسند الإمام أحمد].

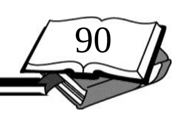
وقال الصحابة: هذه أرجى آية في القرآن الكريم.

٢. **وعد فيه تكريم باهر:**

قال ﷻ في: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ

---

(١) سورة الشورى آية ٣٠.



لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾[1].

الآية واضحة في بشراها، فالمؤمن الذي آمن بمحمد وعيسى وموسى وإبراهيم وآمن برسل الله جميعًا، فهو صديق أي نال أعلى صفة في الصدق، ونالوا أيضًا مرتبة الشهادة وثوابها، قال اللغوي المفسر مجاهد: (كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وشهيد).

٣. **سورة فاطر تجزم بأن المسلمين في الجنة.**

الآيات التي وردت في سورة فاطر قاطعة المعنى بأن المسلمين جميعًا في الجنة بإذنه تعالى، علينا إذًا أن نفهم لفظها ومعناها قبل أن نبشّر بها.

قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾[2].

هؤلاء هم المسلمون، ثم يذكر سبحانه (جل وعلا) المشركين الذين كفروا بعد ذكر المؤمنين مباشرة، فقال ﷻ فيهم: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾[3].

قال مقاتل وهو أحد المفسرين المرجعيين: (الظالم لنفسه تشير إلى أصحاب الكبائر من أهل التوحيد، والمقتصد الذي لم يُصب كبيرة، والسابق هو الذي سبق إلى الأعمال الصالحة)، هؤلاء الثلاثة هم أنواع المسلمين من ناحية أعمالهم، إذ لا يوجد بين العاملين غير ذلك، فإما أن يكون مقصرًا فيرتكب أشياء لا يرضاها الإسلام، أو قصر في أشياء يريدها الإسلام، وأما المقتصد فهو أفضل درجة لأنه متمسك بالإسلام لا يميل إلى جانب الإفراط أو ما يسمونه اليوم بالمتطرف، لا يميل إلى جانب التفريط، وأما السابق فهو الذي يسارع في

(١) سورة الحديد آية ١٩.
(٢) سورة فاطر آيات ٣٢-٣٤.
(٣) سورة فاطر آية ٣٦.

الذهاب إلى المسجد كل صلاة وهو الذي يسرع إلى الأيتام والمساكين والفقراء فيعطي ليدفع عنهم بؤسهم، وهو الذي يسارع إلى الالتحاق بالجهاد ضد الكفار إذا حان وقت الجهاد، إن هؤلاء الثلاثة: الظالم، والمقتصد والسابق بالخيرات جاؤوا في ثلاث كلمات عطفت بالواو، كأن تقول جاء الإخوة محمد ويوسف وإبراهيم، إذن جاء الإخوة الثلاثة، إن العطف نفهمه في لغتنا العربية يشملهم جميعًا؛ هذه الأمة مقسمة لثلاثة أقسام هي: ظالم ومقتصد وسابق، كلهم في الجنة. والحمد لله رب العالمين.

٤. البشرى في (آل عمران)

هذه بشرى المجاهدين، وربما يحزننا أنّ هذه الفريضة أي فرضة الجهاد معطلة في زماننا هذا، ولكن الأمة بإذن الله ستوصل ما انقطع، إن المؤمنين الذين استشهدوا لهم نعيم عندالله في برزخهم، ثم في الجنة مالا يستطيع أحد أن يقدره، ولكن كرم الله تعالى لم يتوقف عند المجاهدين والشهداء، بل امتد إلى كل مؤمن لم يستشهد ولم يقاتل.وكيف ذلك؟

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾[1]؛ لقد شمل كرمه المؤمنين جميعًا الذين يستبشرون بنعمة الله؛ لأنهم مؤمنون قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم» ج١ ص٣٣٧.

ذكرنا ما نطق به علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في موضوع أرجى آية، ولكن الآن نذكر ما قاله ابن كثير في تفسيره إذ يقول: [روح المؤمن تكون في الجنة تسرح فيها وتأكل من ثمارها وترى فيها النضرة والسرور، وهذا بإسناد صحيح اجتمع عليه ثلاثة من الأئمة الأربعة وهم: الشافعي عن مالك بن أنس الأصبحي عن الزهري عن عبدالرحمن بن مالك عن أبيه، قال (ﷺ): (نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يُبعث).

(١) سورة آل عمران ١٩٦-١٧١.

٥. **أهمية المؤمن عند الله ورسوله**

قال أسامة بن زيد: أرسلنا رسول الله (ﷺ) إلى الحُرُقة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناهُ قال: لا إله إلا الله فكفّ الأنصاري عنه وطعنته برمحي حتى قتلته فلما بلغ النبي (ﷺ) فقال: يا أسامة قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قلت كان متعوذًا، فما زال يكررها حتى تمنيتُ أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم، أرأيت عظمة اعتقادنا بمبدأ (لا إله إلا الله)[١].

٦. **الماهر بالقرآن**

حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت قالت رسول الله (ﷺ): (مَثَل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو عليه شديد فله أجران)[٢].

٧. **الله تعالى يصلي على المؤمنين**

قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[٣].

وقد قال القرطبي كلامًا جميلاً بيّنًا في شرح هذه الآية، قال: إن الصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والطلب والتعظيم لأمره.

إذًا يصلي سبحانه علينا أي يرحمنا ويعفو عنا، وتصلي علينا الملائكة تدعو الله (جل وعلا) أن يرحمنا ويعفو عنا ويعطينا وتستغفر لنا.

٨. **شفاعة النبي (ﷺ).**

قال رسول الله (ﷺ): (لكل نبي دعوة فأريد إن شاء اللّه أن أختبئ دعوتي

---

(١) من كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص١٧.
(٢) من كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص١٠١.
(٣) سورة الأحزاب آية ٤٣.

شفاعةً لأمتي يوم القيامة)[١].

٩. **الإيمان بمحمد وعيسى (عليهما السلام).**

قال عبادة عن النبي (ﷺ): (من شهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبداللّه ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله اللّه الجنة على ما كان من العمل)[٢].

١٠. **المسلم لا يدخل النار**

حديث الصنائجي عن عبادة بن الصامت:

قال الصنائجي: دخلت عليه وهو في الموت فبكيت فقال: مهلاً لِمَ تبكي؟ فوالله لو استشهدتُ لأشهدن لك ولئن شُفعتُ لأشفعن لك ولئن استطعتُ لأنفعنك. ثم قال: ما من حديث سمعته من رسول الله (ﷺ) لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثًا واحدًا، وسوف أحدثكموه اليوم فقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (من شهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه حرّم اللّه عليه النار)[٣].

١١. **الشهادتان تنقذان من النار**

قال أنس بن مالك (رضي الله عنه)، قال رسول الله (ﷺ): العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد (ﷺ) فيقول أشهد أنه عبدالله ورسوله، فيقال انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، قال النبي (ﷺ) فيراهما جميعًا.

إنه لم يُسأل إلا عن اعتقاده.

وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري أقول ما يقول الناس، فيقال لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين (الجن والإنس)؛ والكافر أيضًا لم يُسأل إلا عن اعتقاده.

---

(١) من كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص٣٦.
(٢) من كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص٩.
(٣) مختصر صحيح مسلم ١٠/١.

١٢. **لطف الله بالمؤمن عندما يخطئ في عبادة أو عمل.**

ما أكثر الآيات التي تلوم المؤمن على تقصيره، ولكنها لا تتوعده أو تتهدده بل تخاطبه كمؤمن وتأمره بأن يعدل مساره. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾[2] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾[3].

١٣. **البشرى في ثلاثة من الولد**

حديث أبي هريرة قال رسول لله (ﷺ): (لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج في النار إلا تحلّة القسم)[4].

وحديث أبي سعيد الخدري، أن رسول الله (ﷺ) قال: (ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجابًا من النار، فقالت امرأة منهن: يا رسول الله (اثنين) وأعادتها مرتين، فقال الرسول (ﷺ): واثنين واثنين واثنين)[5].

١٤. **البشرى التي نقلها أبو ذر**

ذكر أبو ذر (رضي الله عنه) روايتين في البشرى لهما وقع مؤثر وعظيم في نفس المؤمن، قال أبو ذر، قال رسول الله (ﷺ): أتاني آتٍ من ربي فأخبرني أو قال بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بي شيئًا دخل الجنة، قلت وإن زنى وإن سرق! قال رسول الله (ﷺ): وإن زنى وإن سرق.

---

(١) سورة التوبة من آية ٣٨.
(٢) سورة الحجرات من آية ١١.
(٣) سورة الصف الآيتان ٢-٣.
(٤) اللؤلؤ والمرجان ص٣٩١.
(٥) اللؤلؤ والمرجان ص٣٩١.

وقال أبو ذر: أتيت النبي (ﷺ) وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال: «ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنا وإن سرق؟ قال: وإن زنا وإن سرق. قلت: وإن زنا وإن سرق! قال: وإن زنا وإن سرق على رغم أنف أبي ذر».

وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر.

١٥. **شهرا عيد لا ينقصان**

حديث أبي بكرة (رضي الله عنه) قال رسول الله (ﷺ): شهران لا ينقصان شهرا عيد (رمضان وذو الحجة). أي بشرى باكتمال الأجر ولو أن أيامهما نقصت[١].

ملاحظة: الشرح والتعقيب في بعض ما ذكر

أمةُ الإسلام أمةٌ مرحومة، وأجد أن هذه الآية وعد قاطع وبشرى لمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وُعِدَ بأن له الجنة، وقد شمل الوعد المسلمين الذين يؤدون هذه الشهادة، شهدوا أن الله تعالى أحد ليس له شريك، وشهدوا أن محمدًا رسول الله، هذه الشهادة القيمة العظيمة تعطى أهلها الجنة، هناك تنوع في المسلمين فليسوا جميعًا سواء في العمل والدرجات، فمن المسلمين من يظلم نفسه، ولم تحدد الآية مدى ظلم الإنسان لنفسه، وتركها سبحانه وتعالى لفهمنا أن نقول ما نشاء، ولكن الله تعالى العفو الغفور الرحيم الكريم جعل ظلم المسلم لنفسه بدون تحديد، لأن مغفرته ورحمته وكرمه ليس لها حدود. ثم ذكر المقتصد، ثم ذكر السابق بالخيرات، إننا جميعًا نعرف المقتصد في الإنفاق فهو لا يبخل على نفسه وأهله وهو لا يُفرط فيما بين يديه فيكون معتدلاً، وهكذا المسلم المقتصد لا يترك الصلوات الخمس. ولا يبالغ في صيامه ولا في تعامله مع الناس، ثم ذكر تعالى السابق بالخيرات، وأما عبارة بإذن الله فإن أعمال الظالم أو المقتصد أو السابق كلها جميعًا بإذن الله، ولا يوجد شيء يقع في الوجود إلا بإذن الله. وهؤلاء الثلاثة جاء بينهم حرف العطف الواو. إذًا حكم الثلاثة واحد؛ كلهم يدخلون الجنة. إن هذا واضح في لغتنا العربية، فإذا قلت: جاء علي ومحمود ويوسف على وجه السرعة، فإن الثلاثة جاءوا وليس واحداً فقط. كل من هؤلاء يحلون بأساور من الذهب واللؤلؤ

(١) اللؤلؤ والمرجان ص١٤٨.

ويلبسون الحرير. فحمدوا الله جميعًا على هذه النعم.

وبعد ذلك يأتي دور الكفار، ذلك حال الذين آمنوا بالله ورسوله، وأما حال الكافرين أي الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله، فهو أن لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم العذاب، وهذا خلود دائم.

١٦. حديث البطاقة:

هناك في كتب الحديث عشرات من الأحاديث المبشرة بالنجاة والفوز بمقعد صدق عند مليك مقتدر، ولكن حديث البطاقة هو الغاية وهو نهاية القصد، ما أعظمه من حديث وهو يتعلق بالوزن القسط يوم القيامة، وقيمة شهادة أن لا إله إلا الله، ولا يستطيع المسلم إلا أن يتوقف عند هذا الحديث ثم يسجد عرفانًا وشكرًا.

قال رسول الله (ﷺ) في وصف النجاح في اليوم الآخر كلمات معدودة تستطيع أن تجعلها في ورقة صغيرة أو جذاذة من الورق، إنها صغيرة الحجم، وكلمة بطاقة في القاموس العربي تعني الورقة الصغيرة.

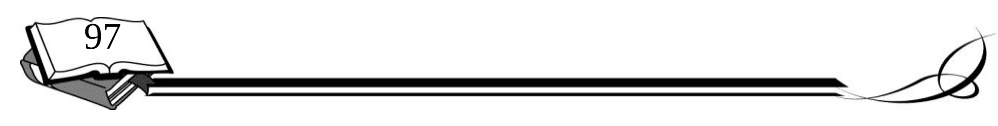
إن الذين رووا الحديث كثيرون، وكلهم أطلق على هذا الحديث اسم (حديث البطاقة)، وفيها أعظم خبر ينقذ المسلم، ويهديه خيرًا كثيرًا.

أما الحديث فروايته كما يلي:

قال أبو عبدالرحمن الحَبْلي سمعتُ عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) يقول قال رسول الله (ﷺ): ثم يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له ٩٩ سجلاً (تسعةٌ وتسعون سجلاً)، كل سجل مدى البصر، ثم يقال له: أتنكر من هذا شيئاً فيقول لا يا رب، فيقول ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول لا يا رب. فيقول: بلى إنّ لك عندنا حسنات وإنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة[١].

ختام الحياة:

(١) روي الحديث في كتاب المستدرك، وصحيح ابن حبان وكتاب سنن الترمذي وموارد الظمآن لعلي بن أبي بكر الهيثمي ٦٢٥/١.



يقول سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[2] هاتان الآيتان تلخصان الموقف، وهناك آيات عديدة في كتاب الله تعضد هاتين الآيتين.

يحب الإنسان الحياة حبًا فوق الوصف، ولكنه لا يستطيع أن يحتفظ بها، فهو لا يملكها، بل إنه لا يملك شيئًا من آلاف الأجهزة العضوية التي تشكل جسمه ونفسه وفكره، فهو لا يملك حركة القلب ولا سلامة الشرايين والأوردة، ولا سيطرة الغدد ولا حركة الرئتين ولا حركة الكليتين، وليس له سيطرة على الصمامات المتنوعة في الجسم ولا.. ولا ، لقد اكتشف علماء عصرنا أن الجسم فيه ٣٠ تريليون خلية، ولا توجد خلية إلا ولها عملها ووظيفتها، وعندما تتلف أو تتآكل تجد مخرجًا إلى خارج الجسم، ولو نظرنا إلى هذه الكتب التي ألفت في أدواء الأعضاء وأدوية الأمراض، وما يقول أطباء المستشفيات عن الأعضاء وما يصيبها لقلنا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وكونوا قانتين.

إلى أين نذهب عند الموت؟

١. **يقول تعالى واصفًا حالة الموت:** ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[3].

قال الإمام أحمد بن حنبل عن أم هانئ أنها سألت رسول الله (ﷺ): «أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضًا؟ فقال (ﷺ): تكون النسمة (الأرواح) طيرًا يعلق بالشجر، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها»؛ فالروح والخير إن كان من المقربين، وأما إن كان من أصحاب اليمين وهم في

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٥.
(٢) سورة الرحمن الآيتان ٢٦-٢٧.
(٣) سورة الواقعة الآيتان ٨٨-٨٩.

الدرجة الأدنى من المقربين، فلهم خير أيضًا من نوع آخر إذ يقول تعالى فيهم: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾[1] أي سلام عليك من مؤمنين مثلك إنهم إخوانك ويفرحون بك، وذكر في هذا السياق أن الملائكة أيضًا تسلم عليك. وأما إن كان من أصحاب الشمال فيقول تعالى فيهم: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤﴾[2].

روى الإمام أحمد هذه الرواية عن رسول الله (ﷺ): إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده حين يبعثه.

٢. من يحب لقاء الله

قال رسول الله (ﷺ): «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، فبكى القوم! فقال رسول الله (ﷺ): ما يبكيكم؟ قالوا: إنا نكره الموت. قال: ليس ذاك ولكنه إذا احتضر (فإما إن كان من المقربين..... وأما إن كان من أصحاب اليمين) فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله (ﷻ) والله (ﷻ) أحب لقاءه.

وأما إن كان من المكذبين كره لقاء الله، والله تعالى للقائه أكره.

٣. حديث في كتابيْ البخاري ومسلم.

اتفق الشيخان على رواية هذا الحديث: إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش.

---

(١) سورة الواقعة الآيتان ٩٠-٩١.

(٢) سورة الواقعة الآيات من ٤١-٤٤.

ملاحظات جميلة جدا:

نِعم الرجال الذين يقولون الحق ونعمت الصحف التي تنشر الحق، ونِعم الحق من أي مكان جاء.

أ. كلية الحقوق – جامعة هارفرد- في الولايات المتحدة الأمريكية. قالت (إن الآية ١٣٥ من سورة النساء تمثل أعظم مبادئ العدالة).

وقد وضعت هذه الآية على مدخل الكلية. والآية هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥﴾ (١) نِعْم القول الحق من هذه الكلية.

ب. وقول وزير داخلية إيطاليا نعم القول، سألوه أن يمنع الحجاب الذي ترتديه المسلمة فقال: إذا كانت السيدة العذراء لا تظهر إلا محجبة في جميع صورها، فكيف تطلبون مني أن أوقع قانونًا يمنع الحجاب.

---

(١) سورة النساء آية ١٣٥.

عاشراً: هل ضاع شيء من القرآن؟

لا. لم يضع شيء من هذا الكتاب الكريم، لقد حفظه الله تعالى ليكون الحبل المتين الواصل بين الله تعالى والمؤمنين، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[(١)] فمن أخذ به فهو على حق ومن تركه فهو على باطل، فإن الإعجاز القرآني هو الوحيد الذي يدل على أن حبل الله قائم ثابت، وهو الذي يدل على وحدانية الله وخلقه لجميع ما نشاهده في الأرض من إنسان وحيوان ونبات وبحار وأنهار وجبال رواسي وغير ذلك، والقرآن هو الدلالة الأخيرة الباقية من الرسل وهي الدلالة التي جاء بها محمد خاتم النبيين.

يفلح من اتبع أوامر الله فيه ويخسر من يهجره، وهو محفوظ بأمر الله تعالى كلمة كلمة، وآية آية، وسورة سورة، إن كل سورة من الـ (١١٤) المئة والأربع عشرة سورة معجزة، كثرت كلماتها أم قلّت، معجزة، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[(٢)].

أبو الأسود وأبو موسى الأشعريّ

قال أبو الأسود: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة، فجاؤوا ودخل عليه ثلاث مئة رجل (٣٠٠) رجل، قد قرؤوا القرآن فقال لهم أبو موسى الأشعري، أنتم خيار أهل البصرة وخير قُرّائها، فاتلوه (أي القرآن الكريم)، ولا يطولن عليكم الأمر فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم.

وقد ورد في (مختصر صحيح مسلم جـ١/صفحة ١٥٣ بتحقيق الألباني ما يلي:

[كنا نقرأ سورة تشبهها في الطول والشدة بسورة براءة فأنسيتها (أي عمر بن الخطاب) غير أني حفظتُ منها «لو كان لابن آدم واديان من مال لا تبغى

---

(١) سورة الحجر آية ٩.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣- ٢٤.

وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» وقال أبو موسى: كنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظتُ منها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ فتكتب شهادة فتسألون عنها يوم القيامة].

كما ورد قولهم [كنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها]، وأقول: نأسف لتكتب مثل هذه الروايات التي لم تنسب ولم يعرف عمن قالوها شيئاً وانظر لهذا الأسلوب السطحي الذي افتعله الرواة المجهولون قالوا: الشيخ والشيخة إذا زنَيا فارجموها البتة، وقد نسوا أنهم أمام الكاب المعجز في الفصاحة.

رواية سخفية عن عمر

وقد جاء في كتاب زبدة التفسير للشوكاني والأشقر أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يقول: وددت أن رسول الله (ﷺ) لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً في (الجد والكلالة) وفي (باب من أبواب الربا) وذلك في سورة ١٢ آية ١٧٦ أقوال متهافتة، صدرت عن أناس لم يعلموا أن الله تعالى يقول ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ فهل يطالب عمر أو غيره بتفصيل أكثر وقد أبلغهم الرسول (ﷺ) كل شيء.

وهل يجوز لنا أن ننسب هذه المقالة المتهاوية لمن صاحب رسول الله (ﷺ)، وهاجر معه، وقاتل معه، وأقام حكم الله في سائر الجزيرة العربية ثم أقامه في بلاد الشام ومصر ومساحة كبيرة من إيران؟ لا يجوز أن نطلق ذلك على أمير المؤمنين عمر، ولا يجوز ان نسكت على مثل هؤلاء الذين يروون ويعجبهم أن يقولوا قال الصحابي فلان أو قال الخليفة فلان، فلا ندري ما مقاصدهم، إن المؤمن يتحرى الصدق، وقد توفى الرسول – ﷺ – وهو يتلو على الناس «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا».

ملاحظة: إنه لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه.

الحادي عشر وقفة مع (الحديث الشريف)

ما أسهل أن يعلن أحدهم أن القرآن الكريم كاف لنا في معرفة الحلال والحرام وما يأمر الله تعالى وما ينهى عنه، وما أسهل أن يقول إن ما بعد القرآن معرض للطعن والدس والتغيير، إن كثيرًا من الأحاديث فيما يرون قد دخلها التزوير والتلفيق، هذا ما يقوله مفكرون إسلاميون وغيرهم، وربما اتسع الأمر ليقول به زعماء ومسؤولون ومتنفذون، إنهم جميعًا متأثرون بما درسوه في كتب الغرب فأثر ذلك سلبًا في فهمهم لدينهم الإسلام.

هل نترك أحاديثه (ﷺ) جملة وتفصيلاً، هل نطوي سيرة امتدت ٢٣ سنة، وهل نحصل على الإسلام الصحيح عندما نطوي سيرته وهو الذي اصطفاه الله ليشرح القرآن وينفذه ويلتزم به، وقد نزل بلساننا العربي لنكون الأمة الرائدة التي تحمل القرآن للعالم، قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[١].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[٢].

وقال تعالى يحث الناس من العرب وأهل الكتاب وغير هؤلاء قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾[٣]، هناك مئات الآيات تضع الرسول في مركز عظيم، فهو رحمة للعالمين، ولا نستثني من هذه الرحمة فئة أو طائفة، فكيف يُعرضون عنه، وما الذي ينالونه من الرحمة إذا أعرضوا، وكيف يديرون ظهورهم لمن أرسله الله ليرحمهم به!

لا يستطيع أي مسلم أن يعرف كيف يصلي إلا إذا رأى رسول الله يصلي، ولا يستطيع أن يؤدي مناسك الحج إلا إذا رأى الرسول يؤديها كما علمه الله تعالى، إنّ العبادات كلها مرتبطة بطريقة أدائها كما فعل الرسول(ﷺ)، والرسول

---

(١) سورة المزمل آية ١٥.
(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٧.
(٣) سورة الأعراف من آية ١٥٧.

قد أداها وفقًا لإرشاد جبريل إياه، إن الكيفية والطريقة مأمور بهما من الله (سبحانه وتعالى)، وليست المسألة عشوائية.

وأما المعاملات بين المسلمين فكلها منضبطة بأوامر إلهية سواء أكان ذلك في الزواج أو البيع والشراء والزراعة أو العلاقات مع الدول الأخرى، كل ذلك مرده إلى آيات الله وأحاديث أو أعمال رسوله. ومن ذلك هذان الحديثان:

وهما حديث ١. السكة والزرع.
وحديث ٢. البصاق.

هدى الله تعالى صديقي (م.س)، فقد تأثر بحياته الهولندية من هامة رأسه إلى أخمص قدميه، ولو دخلوا جحر ضب لدخله معهم لكثرة ما يزعم عنهم من آراء صائبة وحضارة فائقة، وكان يقرأ أحاديث رسول الله من كتب الحديث ليقول: هذا الحديث الغريب العجيب قرأته في كتاب كذا، ما هذه الأحاديث الغريبة العجيبة التي تؤمنون بها؛ وكان هذان الحديثان أو أحدهما من جعبته أما أنا زميله في مدرسة الحريري بالكويت فقد كنت أرفض روايته ولكني عندما أرجع لمصدره الذي نقله عنه أجده صحيحًا، ثم أبحث عن سر ذلك الحديث ومناسبته فأجده صحيحًا كما رواه، ثم أكمل بحثي لأجد الحل طيبًا وناصعًا ومتجاوبًا مع فكرنا الإسلامي، وإليك هذين الحديثين.

١. حديث السكة:

زار أحد الصحابة صحابيًا آخر فوجد عنده سكة حرث، فقال له: قال رسول الله (ﷺ) (ما دخلت هذه السكة بيتًا إلا سببت له الذل). زميلي الأستاذ المدرس (م.س) هداه الله كان ينتهز الفرصة ليقول: ما هذا؟ السكة للحرث والزراعة فلماذا تجلب الذل ولماذا تجلب السوء، إنها تجلب المنفعة.

وأقول إني احترت كثيرًا فيما يقول، فأنا لست من علماء الحديث، وأكثر المسلمين ليسوا علماء حديث، وإذ عدتُ إلى كتب الحديث لأبحث هذا الأمر وجدت أن هناك أحاديث عديدة تتعلق بالحرث والزرع ومنها ما يتعلق بالزرع والجهاد أو الماشية والقتال، ومنها الحديث الشريف الذي ذكره زميلي هداه الله، وربما جاءته الهداية فيما بعد فإني لم أعد التقيه منذ زمن بعيد؛ ومن هذه الأحاديث التي وجدتها الحديث التالي:

قال رسول الله (ﷺ): «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى تراجعوا دينكم».

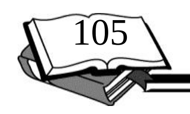
إن بعض المحدثين كانوا يروون جزءًا من الحديث ويتركون الجزء الآخر، وهذا الجزء صحيح ولا شية فيه، ولكنه لا يوفي المعنى الشامل الذي يريده رسول الله (ﷺ)، ومن واجبي كباحث ودارس للدين أن أسعى وراء الأحاديث التي تتعلق بالموضوع المحدد لتكون الرواية شاملة.

نعم للجهاد في سبيل الله، نعم للقتال في سبيل الله، ولا لسكة الحرث والبيع والشراء ولا لاقتناء الماشية إذا ألهى ذلك عن سبيل الله والقتال في سبيله والدعوة في سبيل الله.

٢. **البصاق وما يتعلق بالحادثة**

الحادثة هي اشتراك اثنين من أهل مكة في التفاوض الذي حدث في الحديبية بين الرسول (ﷺ) ووفد قريش، فقد كان المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يفاوضان ويشهدان شيئًا غريبًا، لقد رأيا المسلمين يحتفظون بماء الوضوء الذي يتوضأ به الرسول (ﷺ)، كما رأيا المسلمين يحتفظون بأي شعرة تسقط من الرسول (ﷺ)، لقد عجبا من ذلك، ولكن عجبهما كان أشد عندما رأيا المسلمين يتناولون بصاق الرسول فيمسحون به جلودهم، ولذلك نقلا إلى قريش ما رأياه ونصحوا أهل مكة بألا يقاتلوه لأن المسلمين لن يُسْلموه أبدًا مهما لاقوا من صعاب.

زيارة إلى دمشق وقد توجهت إلى الشيخ راوي عصرنا الحالي وهو الشيخ ناصر الدين الألباني، سألته أولاً عن صحة حديث (الاحتفاظ بالماء والشعر والبصاق) هل هو صحيح؟ فقال إنه صحيح ورواه البخاري، ولكن رسول الله (ﷺ) رأى ذلك فلم يوافق عليه فطاف بين أصحابه يسألهم: لماذا تفعلون ذلك؟ قالوا: حبًا في الله ورسوله. قال رسول الله (ﷺ): إن كنتم تحبون الله ورسوله فأدوا الأمانة إلى أهلها، واصدقوا في الحديث. كل الأحاديث في كتاب البخاري صحيحة، ولكن البخاري نسي بعض الأحاديث الصحيحة، ليأتي آخرون فيبذلون جهدًا ويوفون ما أمكنهم أن يوفوا رحم الله شيخنا الألباني.



من مات وليس في عنقه بيعة!

أذكر مجلسًا انبرى يه رجل جاء معزيًا، فقال لقد قرأت اليوم نشرة حزبية تقول: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية)!

فغضب أهل العزاء وظنوا أن الرجل يقصدهم، وتبرموا من موقفه، فقال رجل من المعزين يريد إصلاح الموقف: ربما كان هذا الحديث مدسوسًا، أو موضوعًا، وقد قادني المجلس إلى البحث عن هذا الحديث الذي روي ويشبه المسلمين الحاضرين بأهل الجاهلية، فماذا وجدت؟

وجدتُ أن ابن كثير روى هذا الحديث في تفسيره الذي اختصر في (ج١ ص٤٠٧)، وهذا نص الحديث: (قال ابن عمر: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) وقال ابن كثير: رواه مسلم. أي ورد الحديث في كتاب صحيح مسلم.

فهم الأخ المعزي الذي فجّر هذا الرأي الصعب في مجلس العزاء أن كل من يتوفاه الله الآن ولم يبايع خليفة فقد مات ميتة جاهلية.

لا يا أخي، الأمر ليس كذلك؛ هذا حديث يتعلق بالدين كله، فالخليفة يحكم بالإسلام، وأنت بايعته على الحكم بالإسلام، ثم خلعت بيعتك أي خلعت قبولك بالحكم بالإسلام، لماذا؟ لمصالح شخصية ومنافع دنيوية، فأنت لا حجة لك أمام الله، أي خسرت الآخرة.

وأما الذي مات وهو يعلم أن هناك خليفة للمسلمين ليقيم شرع الله ولم يرض أن يذهب للمبايعة أولم يبايع نفسيًا وهو في أقاصي بلاد المسلمين فهو رافض أيضًا لدين الله، فهو جاهلي.

إن الذين كانوا في العزاء مسلمون يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وقد جاء في حديث أبي ذر أن كل من تشهد بذلك دخل الجنة وإن زنا وإن سرق؛ وقد روى هذا الحديث الشيخان البخاري ومسلم، بل اتفقا في لفظه؛ وليس في معناه فقط.

نحن الأنبياء لا نورث

قالت عائشة زوج رسول الله (ﷺ): أرسل أزواج النبي (ﷺ) عثمان إلى أبي بكر يسألنه ثمنهنّ مما أفاء الله على رسوله فكنت أردهن وقلتُ لهن ألا تتقين الله ألم تعلمن أن النبي (ﷺ) كان يقول: «لا نورث ما تركنا صدقة «يريد بذلك نفسه. إنما يأكل آل محمد في هذا المال». فانتهى أزواج النبي (ﷺ) إلى ما أخبرتهن[١].

قرضُ أبي الدحداح ما أعظمه

قرأ صاحب رسول الله (ﷺ) أبو الدحداح هذه الآية وهي ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾﴾[٢].

قال أبو الدحداح لرسول الله (ﷺ): يا رسول الله! وإن الله ليريد منا القرض؟ قال رسول الله (ﷺ): نعم يا أبا الدحداح. فقال: فإني قد أقرضت ربي حائطي (أي بستاني)، ثم ذهب لأم الدحداح وهي في الحائط فقال لها: اخرجي فقد أقرضته ربي (عز وجل)، فقالت ربح البيع يا أبا الدحداح.

قال رسول الله (ﷺ): كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح.

ملاحظة: ليس لدي أي تعقيب على هذه التأثيرات في نفوس المسلمين فإنها مذهلة، والحديث يعبر عن نفسه.

سلمان الفارسي:

ورد في سورة الجمعة آية ٣ قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾[٣]، قال أبو هريرة (رضي الله عنه) كنا جلوسًا عند رسول الله (ﷺ)، فسألنا: من هم يا رسول الله؟ فوضع الرسول يده على سلمان وقال: (لو كان

---

(١) مختصر البخاري للزبيدي ص٣٦٥.

(٢) سورة الحديد آية١١.

(٣) سورة الجمعة آية ٣.

الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء)[١].

قال مجاهد إن هذا يشمل الأعاجم أي غير العرب من الذين يؤمنون بالله ويعملون بالكتاب والسنة. وأقول لماذا عنى الأعاجم ولم يقل العرب والعجم؟ السبب هو نزول القرآن بلغة العرب، ولذلك يسهل فهم الآيات بل وظلال الآيات، وأما العجم فيحتاجون لجهد كبير ليعرفوا مضامين الآيات.

حِكَمٌ عاليةُ الأثر

١. **البدوي عند قبر الرسول (ﷺ):**

ذكر ابن كثير في تفسير المختصر ج١/١٤٠ هذه الحادثة الطيبة المؤثرة:

قال العُتبي: كنت جالسًا عند قبر النبي (ﷺ) فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله؛ سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[٢] وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاعُ والأكَمُ
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني فرأيت النبي (ﷺ) في نومي يقول: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له.

٢. **أفصح العرب رسول الله! لماذا؟**

قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يارسول الله مالك أفصحنا؟ قال (ﷺ): إن كلام إسماعيل (عليه السلام) كان قد درس، فأتى به جبريل (عليه السلام) فعلمني إياه[٣].

٣. **نصائح نبوية:**

نصيحة أولى: قال (ﷺ): (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم. وقد فسره الصابوني.
(٢) سورة النساء من آية ٦٤.
(٣) موجز السيرة للجوزي ص١٥٥.

ذي نعمة محسود).

ونصيحة ثانية: لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك.

ونصيحة ثالثة: إن من كنوز البر كتمان المصائب.

كلمة حق عند ملك عظيم

قال الوليد بن عبدالملك بن مروان وهو أعظم أمراء المؤمنين في العصر الأموي، لقد خلف لأمة الإسلام أوطانًا واسعة في شمال إفريقيا والأندلس وباكستان وأفغانستان وغيرها، قال الوليد للفقيه التقي أبي زرعة: أيحاسب الخليفة؟ فقال: يا أمير المؤمنين أقول(أي هل أنا آمن إن قلت؟) قال الوليد: قل في أمان الله، قال أبو زرعة: يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أم داود؟ إن الله جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه، فقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[1].

الخاتمة: بئس أبو العوجاء

هذه الخاتمة تراجيدية مؤسفة ومثيرة للغضب.

هذا الرجل أعدم في البصرة عام ١٣٨هـ، أعدمه محمد بن سليمان العباسي. كان مانويًا ملحدًا، ويكذب على الناس ويظهر التشيع، قال قبل أن قُتل: (لا بأس أن قُتلت فإني قد وضعتُ أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة).

هل نرفع أصواتنا في الدعاء؟

الجواب لا نرفعه، قال ﷻ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[2].

وقال كثير من المفسرين: صوت تسمع به نفسك ولا تصرخ صراخًا، وأن

(١) سورة ص آية ٢٦.ابن كثير المختصر٢٠١/٢.
(٢) سورة الأعراف آية ٢٠٥.

تتكلم بكلام هو دون الجهر من القول، وأن تذكره تعالى في أوقات الغدو والآصال.

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾[١]، وهو الصوت الذي تسمع به نفسك، لا هو جاهر ولا هو خافت.

قال أبو موسى الأشعري: قال رسول اله (ﷺ) لما غزا الرسول خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم في التكبير، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله (ﷺ) أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم، وأنا كنت خلف رسول الله وأنا أقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله» فقال لي الرسول (ﷺ): «يا عبد الله بن قيس! قلت لبيك يا رسول الله. قال: ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي. قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

قال رسول الله (ﷺ): «خير الذكر الخفي»، وهذا يؤكد أن رفع الصوت ليس مرضيًا عنه في الإسلام.

إذًا الخفض والتذلل هما من علامات الدعاء الحق والذكر الحق، وأن الخفض دليل على خيفة الإنسان لربه، وأن هذه الأمور الثلاثة الخفض والتضرع والخيفة من خصائص التقوى، ولعل علماء المسلمين يجتهدون ليروْا الرأي الصواب في وضع مكبرات الصوت في المساجد ليعلنوا الصلاة نفسها والدعاء بعد الصلوات والذكر بعد الصلوات هل هو من التقوى أو يخالف ذلك؟

وقال ﷻ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾[٢].

مَنْ هؤلاء المعتدون في الآية؟ إن الأمر مهم جدًا، علينا ألا نرفع الصوت لأنه اعتداء على الآخرين، ربما يكون هؤلاء الآخرون مسيحيين أو من الذين لم يؤمنوا أو من المسلمين المنهمكين في أعمالهم.

وانظر إلى قوله تعالى في بيان أسلوب الدعاء وطريقته ﴿كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا

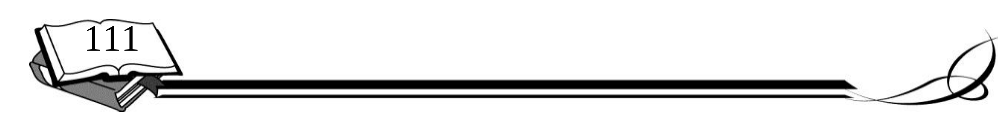
---

(١) سورة الإسراء من آية ١١٠.
(٢) سورة الأعراف آية ٥٥.

﴿٣﴾﴾[1].

وقد استجاب تعالى لدعاء زكريا وأعطاه غلامًا اسمه يحيى، وقال عز وجل يمدحه: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾[2].

(١) سورة مريم الآيات ١-٣.
(٢) سورة مريم آية ٧.



الثاني عشر: سيدنا المسيح – عليه السلام-

هو رسول الله تعالى إلى بني إسرائيل، هو بفضل الله صاحب المعجزات الكثيرة المذهلة، أمه مريم ابنة عمران، بتول عذراء مصطفاة قال فيها رسول الله (ﷺ): سيدات أهل الجنة بعد مريم: فاطمة وخديجة وآسيا امرأة فرعون، وقال فيها: «خير سيدات أهل الجنة مريم ابنة عمران وخير سيداتها خديجة بنت خويلد».

وقال فيها القرآن كلامًا عظيمًا، لقد ورد ذكرها في القرآن الكريم ٣٤ مرة، ذكرت في عدد منها مع ذكر ابنها رسول لله عيسى، وذكرت في عدد آخر منفردة، وأضرب مثلين من هذا الذكر وهما:

١. قال ﷻ في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾(١).

٢. وقال ﷻ في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾(٢).

لقد سميت سورة كاملة باسم عائلة مريم وهي (عائلة عمران) كما سميت سورة كاملة في القرآن الكريم (سورة مريم).

إن لله الفضل والمنة، ويختص برحمته من يشاء.

انفردت في مكان شرقي بيت المقدس لتتعبد، فجاءها الروح القدس بصورة إنسان، فقالت له مريم (عليها السلام) إني استجير بالله منك، اخرج من هنا، قال: أنا رسول الله إليك لأهب لك بفضل الله غلامًا طاهرًا طيبًا، ونفخ روح القدس في جيبها فحملت به، فانتقلت به إلى مكان بعيد، وهو يبعد ٨ أميال عن

(١) سورة آل عمران٤٥.
(٢) سورة آل عمران٤٢.

مكانها، سارت في واد بين بيت المقدس وبيت لحم، وذكر أنه واد كان يطلق عليه سابا، وما إن وصلت ذلك المكان حتى شعرت بالثقل واضطرها المخاض إلى جذع النخلة فولدت، وناداها من تحتها عيسى بن مريم (عليه السلام) وكانت خائفة ترتجف وجائعة كثيرًا وعطشانة فقال لها المسيح: (لا تحزني أنت في الأمان، لقد جعل ربك تحتك نهرًا صغيرًا لتشربي منه،وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا، فكلي واشربي وقري عينًا)، فاطمأنت وشربت وأكلت، وأيقنت أن ابنها ليس وليدًا عاديًا.

لقد طمأنها المسيح (عليه السلام) بثلاثة أمور: الشرب فلا تهلك من العطش، والطعام فلا تهلك من الجوع، والدفاع عنها أمام الذين يكذبونها فلا تهلك من أقوالهم وذمهم وتعذيبهم إياها.

لقاؤها مع قومها: وجاءت قومها وهي تحمله، وقد بدأ قومها بذمها، والقرآن يصف هذا اللقاء الإعجازي ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾[1] لماذا أشارت إليه؟ لقد استقر في نفسها أن هذه حالة إعجازية، وليست حالة ولادة عادية، واستقر في نفسها أن ابنها قد أعطي قدرات خارقة، فهو سيدفع عنها الأذى، وسوف يشرح بلسان مبين أمر الإعجاز ويبين وظيفته في قومه كما أمره تعالى، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾[2].

لقد بُهر قومه ولم يستطيعوا أن يقولوا شيئًا، فهذا رسول الله خلقه تعالى كما خلق آدم، وأنطقه وهو طفل كما ينطق الشيوخ، وأعلن كما أمره تعالى أنه

(١) سورة مريم ٢٧-٢٩.
(٢) سورة مريم ٢٩-٣٣.

رسول الله، وعبدالله، وأنه سيكون لطيفًا في حياته وبارًا بوالدته التي اصطفاها الله (ﷻ) على نساء العالمين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[1].

هذا هو المسيح عيسى بن مريم، فهو ليس ابنًا لله تعالى هو ليس الخالق، هو رسول كريم جاء بمعجزات عظيمة بأمر ربه، وبدأت رسالته منذ طفولته؛ إنه كلمة من الله وروح منه أي جاء بقوله تعالى كن وحمل الكلمة إلى مريم جبريل.

معالم الدعوة لدى عيسى – عليه السلام -:

١- يقول تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾[2].

٢- إذًا كل منا مطالب بعبادة الله، وأنصار المسيح (عليه السلام) مطالبون بالعبادة ولن يستنكفوا عن عبادته تعالى إن اتبعوا المسيح حقًا.

٣- لقد كفر الذين يزعمون أن المسيح هو الله ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[3].

٤- زود الله تعالى رسوله الكريم عيسى بن مريم (عليه السلام) بمعجزات كثيرة لأن بني إسرائيل كذبوا المسيح وتطاولوا عليه، فجعل يتنقل بين الناصرة التي أيدته ونصرته وبيت لحم حيث ولد، لقد كانت يداه المباركتان تمسحان على مواطن الألم فيشفى الإنسان، وقد رد بصر

---

(١) سورة آل عمران من آية ٤٥.
(٢) سورة النساء آية ١٧٢.
(٣) سورة المائدة آية ١٧.

الأكمه، ونصع جلد الأبرص بمسحه، وأحيا الأموات، وصنع من الطين الطيور ونفخ فيها فكانت طيورًا بإذن الله، ومع كل هذه المعجزات أعرض عنه بنو إسرائيل.

٥- وقد أرسل المسيح (عليه السلام) الرسل إلى أنحاء متفرقة من الأرض ليبشر بعبادة الله، واشتهر عنهم أنهم قالوا للمسيح (عليه السلام) كيف نكلم تلك الأقوام ونحن لا نعرف لغتهم؟ فدعا المسيح لهم باكتساب لغاتهم حتى يعلموا ما يقولون، فألهمهم سبحانه لغاتهم.

١. شبهة القتل

أرادوا قتل المسيح ولكن القدرة الإلهية حالت دون ذلك فلم يفلح الرومان ولا بنو إسرائيل في قتله، وقتل أولئك المتآمرون رجلاً شُبِّه لهم، ورفع تعالى المسيح إليه (عز وجل)، قبيل الساعة فيؤمن به أهل الكتاب كما آمن به المسلمون، وقد نزلت الآيات الكريمة تبيّن ذلك.

قال عز وجل: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[١].

عودة سيدنا المسيح – عليه السلام –

آية العودة: جاء في سورة الزخرف آية ٦١ خبر مهم عن لمسيح (عليه السلام) وهو أن الله تعالى جعله علمًا من علامات الساعة أو شرطًا من أشراطها يقول عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾[٢]، لم يختلف المفسرون في فهم هذه لعبارة القرآنية الكريمة، قالوا: (إن

---

(١) سورة النساء ١٥٧-١٥٩.
(٢) سورة الزخرف آية ٦١.

خروج المسيح (عليه السلام) مما يُعلم به قيام الساعة لكونه من أشراطها، لأن الله (جل وعلا) ينزله من السماء قبل قيام الساعة كما أن خروج الدجال من علامات الساعة وأنّ الذي سيقتل الدجال هو سيدنا المسيح (عليه السلام)؛ سيقتله عند مدينة في الأرض المباركة تسمى (اللدّ).

قال الشيخ حسنين مخلوف في كتابه صفوة البيان في هذه الآية: نزول المسيح (عليه السلام) من أعظم أمارات الساعة، وقد جاءت به الأحاديث الصحيحة.

الذين اتبعوا المسيح (عليه السلام)

وقد ورد في سورة آل عمران ما يدل على علو شأن المسيح وأتباعه المكرمين؛ وأمر رسول الله (ﷺ) بإبلاغ العالمين عن أتباعه.

قال ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[١].

فالآيات الكريمة مسلسلة المعاني وهي تدل على أنّ:

أ- الله تعالى يرفع المسيح إليه بوفاة صغرى كما ننام، إنها قدرة الله.

ب- يرفعه إلى السماء مكرمًا ويظل حيًّا بمشيئة الله.

ج- ينزل المسيح (عليه السلام) على الأرض فيطهرها من كل ما التحق بها من أوهام الناس، ويبين لكل الذين اتبعوه بإيمان وصدق أنهم على حق لأنهم مؤمنون بالله فهم أعلى من الذين كفروا به إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة آل عمران آية٥٥.

